

بعد فوات الأوان

رواية

ل: محمد الصديق وردى

إسم الكاتب: محمد الصديق وردي

إسم الكتاب: بعد فوات الأوان

الإخراج الفني: يونس قدار

رقم الإيداع 978-9931-716-74-7

طبعة أولى السداسي الأول سنة 2020

العنوان: حي 40 مسكن تساهمي الطريق رقم 16 مداوروش

سوق أهراس

الهاتف : 037832786



I C O S I U M

جميع الحقوق محفوظة لدار:

إيكوزيوم أفولاي للنشر والتوزيع

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن خطي من الناشر

أو الكاتب يعرض فاعله للمساءلة القانونية

إهداء

إلى أبي، أستاذي الذي لولاه لما كنت على ما أنا عليه
اليوم.

إلى أمي، جنتي وتاج رأسي.

إلى شمسي وحياتي.

إلى كل روح ستقرأ، وستدخل عالمي.

إلى منصف رحمة الله عليه.

مقدمة: الاختفاء

إن كنت اليوم تقرأ هذه الكلمات، فهذا يعني أنني لم أعد هنا. لا أدري كيف ذهبت، ربما أنا ميت، ربما ذهبت فقط إلى مكان ما لبدء حياة جديدة، ربما أكون قد تهمت في مكان مهجور لا أعرفه، ولا أنت تعرفه.. أتذكر؟ في الماضي القريب كان حلمي الأكبر أن أتوه بين أحضان الطبيعة، وسط غابة عملاقة أو على جبل ضخمة، بين الصحاري أو أحد الأماكن المشابهة.

إن كنت تلقيت هذه الرسالة فأنت حتما كنت شخصا عزيزا علي يوما ما، قبل "انتحاري" -أعتبر نفسي ميتا في الساعة التي تقرأ فيها رسالتي- أقول «كنت» لأنه إن حدث وقعت بإرسال هذه الرسالة، فإني لم أعد أهتم لشيء، ولم يعد أحد قريبي أو خليلي، لم أعد أولوية أحد ولا أحد أولويتي اليوم. هذا لا يشكل إزعاجا لي لأنني اعتدت على أن لا أعطي نفسي قيمة، واليوم أصبحت فعلا بلا قيمة. يوم كتبت هذه المذكرات شعرت بفرغ عظيم وعميق في نفسي، أشد عمقا من حزني في اليوم الذي سأطلب فيه من أحدهم إيصال هذه الرسالة لك. قد لا ترغب في قراءة تفاهات كهذه، أستوقفك هنا! تخلص من هذه الرسالة، احرق هذا الكتاب والحياة ستتواصل بأيامها وأسابيعها،

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

بجمالها ومتاعها، لن أتحدث عن شيء مهم حقاً، غير بعض الذكريات، ملاحظات قد يستفيد منها شخص ما، شاب قد يحقق ما لم أحققه. قصص سرية من حياتي لم يسمعها أحد... أعتقد ذلك، قد أسي هذه الرسالة «بعد فوات الأوان» نعم.. لقد فاتني الأوان.

في اللحظة الذي أكتب فيها هذه الرسالة، أنا أعيش آخر أيامي، مستلق على الأرضية، أكاد أتجمد من شدة البرد، بالرغم من أن الجو ليس بارداً بذلك القدر، أنا اتجمد بسبب الفراغ الذي يغمرنى كأنه يستولي على كل ذرة من جسمي الذي يكاد يصبح جثة. أنا محتجز داخل خلاط للمشاعر، أنا خائف للغاية، لا أعرف مم أنا خائف بالتحديد. أشعر بالوحدة رغم الحشود من حولي، لم يعد بإمكانني تزييف الإبتسامة. لم أعد أستطيع الثثرة لإخفاء ما أشعر به، اليوم كان من المفترض بي أن أفعل ذلك، ولم أستطع. وكان علي مواجهة السؤال القاتل «ماذا يجري؟ لماذا أنت صامت اليوم؟» ربما كل هذا الحزن ما هو إلا أحد مخلفات الحرب التي أخوضها كل يوم ضد نفسي، مخلفات كل خطيئة أقترفها خلال وجودي البائس في هذا العالم التعيس.

أنت من يقرأ هذا، قد تكون صديقي، أخي، شخص عرفني خلال زحمة الحياة. لا يهم من أنت، أنت لم تعرفني حق المعرفة. بعد قراءة ما كتبتة، ستعرف أخيراً من كنت تراه يومياً و تحتقره بسبب مظهره أو طريقة تعامله الغريبة مع الناس. وسيكون قد فات الأوان للقيام بأية ردة فعل.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لن يتبقى إلا ندم بعد كل هذا، ندم على معرفتي، أو ربما ندم على تضيقك لوقتك في الاستماع لي لساعات، قد تندم على مقاومتك للغريزة التي كانت تحرضك على طبع لكمة على منتصف وجهي في أول فرصة أتيت لك. قد تتكمن أخيراً من فهم شعوري، وتندم لأنك لم تحاول إقناعي أن كل هذا سيمر وسنتذكر هذه الأيام سوياً في ليلة قد نكون شربنا حتى الثمالة تحت نجمة متألئة ونضحك حتى تنفجر رؤوسنا. -قد كان أسهل أن آتي إليك وأن أقص عليك قصتي بكل بساطة، لكني لا أملك الشجاعة الكافية لفعل ذلك- كنت أتمنى إيجاد ذلك الشخص الذي يمسك بي ويقول أنه يعرف أنني لست بخير-طبعاً هذا لا يوجد إلا في الأفلام- لكني أعرف حق المعرفة أنك لن تفهم ما أشعر به، لأن الشعور أمر ذاتي، حتى لو كنت تعيش تماماً نفس حياتي، لن تشعر بنفس الشيء لأننا لا نتفاعل مع الأمور بالطريقة نفسها.

خذ كدليل ما يلي؛ أشياء تجدونها أنت والآخرين تافهة لأبعد الحدود تجعلني حزينا بعمق. -قد يعرف أحدكم عم أتكلم-

أنا نفسي لا أعرف ما أشعر به، ولا ما جعلني أصبح الشخص الذي أنا عليه اليوم. لكن إن حاولت القراءة بين السطور ووجدت عبارات من قبيل "أنقذني، ساعدني" فأنت مخطئ حتماً، لا أريد أن ينقذني أحد، أريد أن أنقذ نفسي، أن أنقذ ما تبقى من روحي، وأهرب. سئمت من كوني كيس الملاكمة، الضحية، اللعبة. لم أنم الليلة الماضية جيداً، ربما لأنني عدت إلى الكتابة بعد مدة

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

طويلة دون حرق جملة واحدة من دماغي، عادت ارتجافاتي بمجرد
أخذي لريشتي لنسج شبكة الكلمات والمشاعر هاته. سأحاول إعطاءك
بعض الملاحظات، بعض التفاصيل التي مر عليها الجميع مرور الكرام...

الآن أنت وسط المحيط، اسبح

أدعى هاري، استيقظت فجأة من نوم عميق. استفقت من سبات دام طويلا، بين والديّ الفقيرين والجدران الأربعة التي تقابلت مكونة بيتنا الصغير الذي لم يتغير منذ ورثناه عن جدتي التي توفت منذ عشر سنوات. كنت كالطائر وسط عشه، في هذا البيت اللندني التقليدي، وسط عش مليء بالحب والحنان. هذان القلبان الجميلان وهذا الجو الذي خلقه لقاءهما تحت سقف واحد لم يكن يقدر بثمن، كنت أظن نفسي أغنى شاب على وجه الأرض عندما أقول "هذا أبي، هذه أمي"

أبي عامل يومي، لا يمتلك وظيفة ولا منصبا، كان يعمل جاهدا لتوفير القليل من المال، وكان ينفق كل سنتيم لجعلنا نعيش أحسن حياة ممكنة، فقط بعرق جبينه، ولو ببضعة جنيهات أسبوعيا. أمي العزيزة فارقت دراستها في الثانوية بعد أن تقدم والدي لخطبتها، وكرست حياتها وشبابها لأبي ثم لي أنا بعدما ولدت، عانت طويلا وصبرت كثيرا، لا يمر يوم إلا وأراها مبتسمة رغم كل شيء. أما أنا، فطالب في كلية الحقوق، أدرس بكل ما أوتيت من عقل ومن جهد لأخرج أمي وأبي من هذا العش الذي يكاد يكون وكر جرذان بالنسبة لجل أفراد الطبقة العليا الذين يحتقرونا. هدفي في الحياة هو النجاح، ونجاحي لا بد منه، ولا

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

يكون ذلك إلا بنجاة من بدونهما لا أكون. لا تقلقا، قريبا لن يحتاج أبي للعمل بهذا الجهد، ولن تحتاج أمي إلى أن تفكر فيما سنجد لنأكل غدا.

كنت من بين الأوائل في دفعتي، رغم تكاليف الدراسة المرتفعة نسبيا، إلا أنني وجدت الوقت للعمل إلى جانب دراستي لأحاول أن أرد لأبي بعضا من المال، لقد باع مجوهرات جدتي ليدفع نفقات دراستي، المجوهرات التي لم نسمع عنها قط قبل دخولي الجامعة. مالي لن يرجع القيمة المعنوية لتلك المجوهرات ولن يرجع حتى نصف ثمنها. لكن كل فلس مهم عندما تبدأ يومك فارغ الجيوب وتنهيه كذلك.

إذن أعمل كنادل في مقهى بعيد قليلا عن المنزل. أنا أردت أن يكون بعيدا، لا أحب أن يكون مكان عملي قريبا من مكان دراستي ولا من حي سكني، ربما لأنني أخجل من فقري.

"الفقر ليس عيبا" كم من مرة سمعت هذه المقولة، أنا متأكد أن قائلها كان غنيا، أو بالأحرى لم يذق مرارة العمل ليلا ونهارا لسد جوع أسرة، لم يضطر لتحمل كسر خاطره بسبب بكاء ابنه الرضيع من شدة البرد، لم يتعرض لنظرات الناس إلى لباسك الوحيد الذي ترتديه طوال الأسبوع، من قال أن الفقر ليس عيبا لم يحدث له أن أحس بالخجل أمام أصدقائه عندما يعرضون عليه الذهاب معهم إلى دولة أخرى بمال منحة الدراسة...

تلك المنحة التي ذهب جزء كبير منها إلى أدوية أمي وعلاجها، والجزء الباقي وضعته في تلك العلبة التي كبرت معي، تقبع في ركن من أركان الغرفة منذ كان عمري سبع سنوات. صنعتها بيدي مع أبي عندما وجدت

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

بضعة خشبات مرمية أمام محل كان صاحبه بصدد تغيير ديكوره. طلبت منه أيضا بعض المسامير فأعطاني حفنة منها، أسقطت نصفها في طريقي إلى العودة للبيت والسعادة تغمرني والحماس يظهر على وجهي. فكانت النتيجة تلك اللعبة الجميلة التي قام أبي بدهنها عندما انتهيت من صنعها بأناملي الصغيرة الناعمة.

أنا أخجل حقا من فقري...

كنت أدرس في الصباح وأعمل في المساء بالإضافة إلى أيام نهاية الأسبوع، ولا أنسى أن أذاكر في الليل قبل النوم. -أحيانا أضطر إلى التخلي عن النوم لمراجعة دروسي- أنا ملزم بالنجاح، هذه السنة سأحصل على شهادة الليسانس خاصتي، مهما كلفني ذلك.

لا أملك الوقت لعيش حياة أقراني من الشباب، لقد ولدت كهلاً أرهقته الحياة قبل أن يرى ضوء النهار لأول مرة، كانت المشاكل والهموم واقفة تنتظر خروجي بين يدي أبي برفقة أمي من عيادة الولادة، لتنهال علي بالضربات والصفعات. لكنني قوي مثل أمي، أبتسم وأتقدم رغم كل شيء، أتحمل كل المتاعب من أجل رؤية إلهامي الوحيد والغالي: ابنته أمي وأبي.

- صباح الخير أمي!

- صباح النور بني، هل نمت جيدا؟

- ست ساعات كانت بمثابة رحلة إلى الجنة بالنسبة لي مؤخرا.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- لم أغمض عيني ولو لدقائق، والدك لم يعد للبيت حتى الخامسة صباحا..

- هل هو نائم الآن؟

- أجل... لقد عاد متعبا، لقد عمل طول الليل.

- لكن ورشات البناء لا تعمل ليلا!

- لقد قال لي أنه قد وجد عملا آخر، وقد تخاصم مع بعض عمال تلك الورشة ففضل الابتعاد عنهم.

- كل هذا جرى وأنا نائم؟

- ركز على دراستك حبيبي، كل ما نريده أنا وأبوك هو رؤيتك ناجحا.

- أنتما نجاحي ماما، لن أخذلكما.

أطبع قبلة على جبين جنتي ثم أنصرف إلى امتحاني الأول، أذهب سيرا على الأقدام طبعاً، لا أملك المال اللازم من أجل المواصلات. أنا أمشي كثيراً، هذا ما يجعلني نحيفا -كأنني أكل جيداً لأجعل المشي سبباً في نحافتي- ها أنا أفكر مجدداً في أشياء فارغة، علي أن أركز على امتحاناتي.

أصل إلى قاعة الامتحان وأنا ألهث بسبب سرعة خطواتي خوفاً من التأخر، لحسن الحظ لدي دقيقتان لالتقاط أنفاسي قبل السباق الحقيقي؛ سباق أسئلة الامتحان.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

كان الامتحان الأول صعبا معقدا للغاية، لم أجد التركيز الكافي والذاكرة لإنهاء كل الأسئلة، لكني أجبت على ما أجبت في أحسن صورة.

أخرج من القاعة خروج المحارب من ساحة المعركة بعدما قتل أعداء لا يكاد يحصي عددهم، لا يدري إن كان ذلك بسبب بأسه وبؤسه، رغبته في السقوط شهيداً، أم طمعا في العودة إلى قومه في ثوب بطل المعركة الذي سينال الثناء كله بعد عودته إلى الديار.

أخرج من ساحة المعركة نحو معركة أخرى، أذهب مهرولا إلى المقهى دون أن ألتفت يمينا أو شمالا.

- متأخر كعادتك؟

- أنا آسف سيدي... لقد أتيت مباشرة بعد خروجي من الامتحان، لا أجد حتى وقتا للنوم مؤخرا.

- تعال واجلس أمامي، أريد التكلّم معك عن شيء ما.

- نعم؟

- يمكنك الذهاب إلى البيت لتحضير امتحاناتك ولتنال قسطا من الراحة.

- ولكنك تعلم جيدا أننا لن نجد ما نأكله إن لم أعمل.

- أنظن أنني لم أفكر في ذلك؟ خذ راتبك الأسبوعي، به زيادة قليلة اعتبرها هدية مني. ستعمل ساعات إضافية بعد نهاية امتحاناتك لا تقلق.

- أنا... لا... لا أدري كيف يمكنني أن أشكرك سيد لورانس.

- لا عليك بني. يمكنك الذهاب الآن.

- شكرا وألف شكر لك سيدي.

السيد لورانس بمثابة أبي الثاني، هو الذي يصغي إلي عندما أحتاج إلى الكلام، لم يخلني بنصيحة أو بمال حالما احتجت إلى مساعدته. هو رجل ستيبي كريم جداً، بعكس أغلب العجائز هنا في إنجلترا. المعروف عنهم أنهم بخلاء لدرجة الجنون، لكن لومنا لهم في هذه النقطة ظلم عظيم، فكلهم شهدوا المجاعة، بعضهم شارك في الحرب. بالنسبة لهم السنتم ما زال سنتم، يخافون من عودة الحياة إلى حالها زمن شبابهم. ضع نفسك مكان أحدهم ليوم واحد وستفهم.

أمشي كالطفل الذي وجد لعبته بعد أن بحث عنها في جميع أنحاء مملكته، تلك المملكة التي ولد وكبر فيها، ثم أصبح اسمها بيت. أسلك طريقي نحو مملكتي وأنا أتأمل تلك الأوراق النقدية كأنها مفاتيح الجنة، لا أستطيع كتم سعادتي، ولا أستطيع الانتظار حتى أخبر والديّ بهذا الخبر.

أصل أخيراً إلى البيت، أعانق والدي وأعطها المال بابتسامة عريضة.

- من أين لك هذا يا هاري؟!

- إنه السيد لورانس، لقد منحني أسبوع راحة ودفع لي مسبقاً على أن أعمل ساعات إضافية بعد امتحاناتي.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هذا لطف كبير منه.. سيكون لك متسع من الوقت لتنام جيداً وتراجع دروسك.

- أين أبي؟

وقف أبي خلفي وهمس قائلاً:

- هل قال أحدهم أبي؟

- مرحباً أبي! كيف حالك؟

- أنا بخير، ماذا عنك؟ كيف جرى امتحانك؟

- أظن أنني على الطريق الصحيح.

- هذا رائع!

- أبي؟ ما هذه القصة مع عمال ورشة البناء؟

- لا تشغل بالك، لا شيء مهم. ركز على دراستك!

- سأذهب للمراجعة الآن. احبكما!

- بالتوفيق هاري.

لم تقنعي إجابته ولا هروبه عن الموضوع، لكن نصيحته كانت قيمة.
علي أن أركز على امتحاناتي. سوف أنجح!

حجرت نفسي داخل حلقة مغلقة لمدة أسبوع، نفس اليوم يعاد، لا
تتغير إلا ورقة وموضوع الامتحان وتاريخ اليوم. نفس القاعة، نفس

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

الطلاب، نفس ملابسي، نفس الطريق، نفس الإصرار والعزيمة اللذان
لم يفارقاني للحظة، والأهم والأجمل من كل ذلك: نفس الابتسامة
المشرقة على وجه أمي وأبي.

خرجت من آخر امتحان، زميل لي يعرض علي أن يوصلني إلى المنزل
بسيارته، لم أستطع الرفض بسبب إرهاقي. أدخل إلى البيت منهكا وأرتعي
في فراشي وأغوص في أعماق نومي.

غريب جداً ضعف الإنسان وحاجته المتواصلة إلى حضن شخص
يمتص غضبه وحزنه، يكبح طبيعته المتوحشة، يطفئ النار التي اشتعلت
بداخله. وأي حضن أجمل وأصدق وأدفع من حضن الأم؟

أستيقظ في حضن والدتي وأنا إنسان آخر، حي من جديد، حر بعد
أشهر في سجن الأوراق والكتب. تحت ابتسامة شمس حياتي التي أشرقت
على عالمي الصغير لتضيء كل جزء منه. أمازح أمي وأكل شيئاً خفيفاً
ثم أذهب للعودة إلى روتين أقل مللاً من سابقه، الروتين الذي أجني منه
مالاً. سددت ديني من ساعات العمل عند السيد لورانس ثم واصلت
عملي كآلة فارغة من الحياة، ليس بسبب شيء إلا أن جسي هنا في
المقهى، لكن روحي وعقلي هناك، داخل أسوار الجامعة. أنتظر بشغف
رؤية نتائج جهدي، ولا أطيق صبراً لرؤية فخر والدتي بهذا الإنجاز الذي
لم يعد بعيداً. ما هي إلا مسألة أيام، حتى أتى صديقي منصف يركض
كأنه يحترق، دخل المقهى وهاتفه بين يديه يريني قائمة الناجحين. لقد
وُفِّقت! أحسن علامة بين طلبة دفعتي... لم استطع كتم دمة سقطت

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان
من عيني كأنها قطرة الرحمة التي أطفأت لهيب التعب ومعانات سنوات
من العمل الشاق.

منصف صديقي منذ سنتين تقريبا، فلسطيني أتى إلى إنجلترا لإكمال
دراسته الجامعية في كلية العلوم. الأخ الذي لم تلده لي أمي، كان يكبرني
بسنتين، عاملني أحسن معاملة هو وأمه، قتل أبوه رميا برصاص الجيش
الصهيوني... لا داعي للخوض في هذه التفاصيل من حياته، كان يمتحن
النجارة، أحب الذهاب إلى معمله أين أجده غارقا في تفاصيل قطعة
خشب عملاقة قبل أن يضع يديه عليها ثم يملأها بالحياة بعد ساعات
طويلة لا يكاد يشعر بمضيقها.

شكرت منصف على هذا الخبر الجميل وأهديته مشروبا، جلس
ضاحكا:

- هاري المحامي يحارب الجريمة!!
- توقف هذا غير مضحك أينشتاين.
- أنا ادرس الرياضيات لا الفيزياء يا غبي.
- لا يهم، كلاهما به رموز فضائية غير مفهومة.
- واصلنا حديثنا حتى أتى السيد لورانس ليعلمني أنه وقت إغلاق
المحل. لم يكن هناك زبائن كثير ذلك اليوم، كأنهم منحوني يوم راحة
بمناسبة نجاحي.
- عمي لورانس، أريد أن أطلب منك شيئا.

- تفضل بني، ماذا هناك؟

- يوم الثلاثاء المقبل هناك حفل توزيع الشهادات الجامعية، وأريدك أن تحضر إلى جانب أمي وأبي.

- واو تهاني هاري.. هذا خبر رائع، سأكون هناك أنا الأول!!

لم أره سعيدا بتلك الطريقة منذ بدأت العمل عنده، هو شخص لا يظهر انفعالاته إلا نادراً، وكان الحظ حليفي إذ عشت هذه اللحظة النادرة، رأيت نظرتة كأنه ابنه حقا من نجح.

أساعد السيد لورانس في إغلاق المقهى وأتجه مسرعا إلى البيت، كأني أحمل المزيد من مفاتيح الفردوس لأمي وأبي، لقد نجحت! أخيرا!!! لا شيء يمكنه أن يفسد هذا اليوم.

خطواتي تتناقل عندما اقتربت من المنزل، أمي جالسة أمام عتبة الباب وجهها شاحب، كأنها رأت وحشا. ابتسامتي تمحى أكثر فأكثر مع كل خطوة أتقدمها..

- أمي؟ ماذا يجري؟

أجابتي بنبرة مرتجفة خائفة:

- انه والدك.. هو في المستشفى، لقد تعرض لحادث.

- لا!! غير ممكن! ليس اليوم...

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- أنا انتظر قدومك منذ نصف ساعة. دعنا نذهب.

- هيا بنا.

وصلنا إلى المستشفى بعد مدة لا أدري بكم تقدر، كل ما أعرفه هو أنها كانت أطول مدة مرت علي وأنا أمشي. دخلنا الغرفة التي يتواجد بها أبي، تقف بقربه فتاة خائفة، كأنها هي من تسبب في الحادث. ارتمت أمي على أبي، أخذت بيده وقبلت جبينه. أما أنا فتجمدت في مكاني، لم أستطع فعل شيء إلا الغرق في بحر من التساؤلات؛ هل هذه الفتاة دهست أبي؟ هل وجدته مرميا على الأرض وأتت به إلى هنا؟ قاطع الطبيب حديثي مع نفسي قائلا:

- لقد أتت أسرته، يمكنك الذهاب آنسة.

أمسكت أمي بذراع الفتاة وسألتها

- انتظري! ماذا حدث؟ من أنت؟

- سيدتي، لم أفعل إلا ما وجدته صائبا، رأيت سيارة تصدمه ومرت فوقه ثم هربت بسرعة، لم يكن هاتفي بحوزتي للاتصال بالنجدة فقررت أن آتي به إلى هنا بنفسني، لم أقصد إلا مساعدته.

قررت أخيراً أن أتكلم:

- شكرا لأنك أتيت بوالدي إلى هنا، هذا لطف منك.

- لم أقم إلا بواجبي الإنساني، علي أن أعود إلى المنزل لقد تأخرت.

طلب منا الطبيب أن نتبعه إلى مكتبه لشرح لنا حالة أبي. قال لنا أنه تعرض إلى إصابات خطيرة جداً وأنه عليه البقاء في المستشفى تحت عناية مركزة للأيام الباقية. انهارت أمي بالبكاء بعد أن حبست أنفاسها، حاولت أن أجعلها تهدأ وأخبرتها أنه سيكون على ما يرام وأنهم سيعتنون به جيداً هنا، نظرت إلي مطولاً كأنها تطلب مني أن لا أعطيها آمالاً كاذبة، ثم قالت أنها لن تخرج من المستشفى دون أبي.

علاقة أمي وأبي تكاد تكون أجمل شيء رأيته طوال حياتي، تعارفا وهما شابان، كبرا معاً، ثم تزوجا ووضعاني بين مخالف الحياة، حدثاني ذات يوم أنهما أرادا إنجاب أخت لي عندما كنت صاحب ثلاث سنوات لكنها توفت أثناء ولادتها. لم أجد كائنين يحبان بعضهما مثل أمي وأبي، يضحكان معاً، يبكيان معاً، يتشاركان كل شيء. هناك انسجام عجيب بينهما، انسجام طبيعي تام كامل كأنه سماء زرقاء خالية من أي شائبة، وتوج حبهما بشمس أشرقت فكانت طفلاً. أتذكر تلك الجملة التي يقولونها عندما تقسو الحياة وترهق كاهليهما "لا أحد منا دون الآخر" تلك الجملة التي يقولها جل العشاق والأزواج، لكنني لم أر تجسيداً لمعناها إلا هنا، أكاد أقسم أنهما خلقا لبعضهما. يسقطان معاً وينهضان معاً، لا يستطيع أحدهما أن يغضب من الآخر ولو مزاحاً. حروف لغتنا البشرية لا يمكن أن تصف ما يحدث بينهما.

لم يستيقظ أبي منذ أن دخلنا عليه، علامة الحياة الوحيدة التي تظهر عليه هي صوت الجهاز الطبي الذي بجانبه. أمضينا الليلة إلى جانبه

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أنا وأمي، لم ننم تلك الليلة. أمضيتهما أستمع إلى والدتي التي قصت علي مغامرات صغرهما، تارة تنفجر ضاحكة، وتارة أخرى تبكي بحرقة. لم تترك يد أبي طوال الليل، أمسكتها لليلة كاملة كأنها تقول "لا تتركني وحيدة، لا زال هناك أشياء كثيرة لنعيشها معا"

السادسة صباحا: استيقظ أبي أخيرا، لقد فرحت برؤية عينيه مفتوحتين مرة أخرى، لقد كنت حقا أشد فرحا من لحظة تلقي خبر منصف البارحة.

- زوجي العزيز!!

- أبي!

أجابنا مازحا؛ وهو يسعل سعالا ينم عن تعب جسمه وروحه

- لقد ظننت أنني في الجنة، لكن عندما رأيتهما حولي، أظن أنني لازلت حيا.

- لن تتخلص منا بهذه السهولة أيها العجوز. أجابت أمي وهي تقبله وعيناها تدمعان كأنهما نهران من ماس.

حتى وهو في هذه الحالة، يستطيع أبي الإبقاء على شباب روحه وعلى فكاهته التي لا يمل منها من يعرفونه كافة. أقرر إذن أن أقاطع لحظة لقاءهما بنبرة مازحة أيضاً

- احم... يوجد شخص آخر سعيد بعودتك هنا أيضاً!

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هل تكلم أحدهم؟ لم أسمع شيئاً.
- هذا ليس مضحكا أبي..
- تعال وعانقني ابني الغالي.
- أبي عليك أن تتحسن سريعا، لقد أصبح ابنك صاحب شهادة، الثلاثاء حفل تكريم المتفوقين.
- حقا؟! هذا رائع هاري.. لقد اخترت اليوم الغير مناسب لأصدم بسيارة هاها.
- لا عليك أبي، اريدك فقط أن تشفى، سنأتي بعد تسليم الشهادة للاحتفال معك هنا فقط نحن الثلاثة.
- أنا فخور بك.
- تلك الجملة هي مكافأتي وأي مكافأة، فخر أبي وأمي هو هدي مني مني صغري، وها قد بدأت في تحقيقه.
- دخلت علينا ممرضة بينما نحن نائمون بين الضحك والبكاء، طلبت منا الذهاب لنستريح قليلا بينما يقومون له ببعض التحاليل والتشخيصات لمعرفة مدى "عمق جروحه" نفسيا وجسميا.
- اتفق أنا وأمي أن نذهب لاحتساء قهوة والعودة إلى المنزل للاغتسال وتغيير ثيابنا ثم نعود بعد الزوال، تطلب مني الأخذ بيدها -لم تتناول شيئاً منذ أن عرفت بما حدث لأبي-

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

توجهنا إلى مقهى عائلي غير بعيد، جلسنا على شرفة جميلة وسط نباتات وزهور. لم أستطع تحمل صمتها فوجدت نفسي أكرر نفس الكلمات كلما ذهب تركيزها بعيدا.

عدت وأمي إلى المنزل منهكين، قمنا بما يجب القيام به، لكن عقلينا لم يغادرا المستشفى، كنا متلهفين للعودة لرؤيته. ولم نرتح حتى عدنا ورأيناه كما تركناه منذ الصباح.

- كيف الحال أبي؟

- أنا آسف لأنني كلفتكما كل هذا العناء...

- لا تقل هذا، لا عناء على الإطلاق.

- لقد نامت أمك، انظر كم هي متعبة..

- أجل، لم تنم ولم تأكل حتى كلمتك.

- هاري علي أن أحدثك بشيء، لأنني أظن أنني سأرحل قريبا.

- لن ترحل أبي... لم ترى أبنائي بعد، ولم تقص عليهم قصصك بعد، ولم تحضر لرؤيتي بثوب المحامي بعد! لن تغادر قبل ذلك.

- لكنها لن تنتظر، أنت تعلم ذلك.. لا تبكي.

- لا أريدك أن تموت...

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- إن أتت تلك اللحظة، أريدك أن تسامحني، لأن العديد من المتاعب ستواجهك، أريد منك أن تعتني بأمك جيدا كما فعلت دائماً وأن تشغل مكاني كما علمتك.

- أية متاعب؟

- لا تهتم لذلك، فقط كن قويا، كن رجلا كما عهدتك.

- ثقي بي.. سأكون خير خلف لك.

استيقظت أمي كأنها سمعت كل شيء.

- عم تتحدثان؟

- لا شيء مهم، كنت أسأله على النقاط التي تحصل عليها في امتحاناته.

- اوه طبعاً.. لقد نسيت تماماً.

وأضينا اليوم كله على تلك الحالة، حتى حل الظلام وطلب منا أبي أن نذهب للمنزل على أن نعود في الغد. وافقنا بداعي التعب الشديد الذي بدأ يظهر علينا كلينا.

ارتحى كلانا على فراشه وأخذنا قسط النوم الذي افتقدناه ويبدو أنه افتقدنا أيضاً... ما هي إلا لحظات قليلة -عشر ساعات نوم لم نشعر بها من شدة التعب- حتى أيقضتني دقات قوية على الباب القديم، ظننته سيكسر. إنه منصف

- أهلا هاري، كيف حالك؟

- أنا بخير، ماذا عنك أخي؟
- بخير، لقد سمعت أن أباك تعرض لحادث.. أتيت لرؤيته، هل هو هنا؟
- لازال في المستشفى، يقولون أنه سيبقى هناك مطولا.
- آمل أنه سيشفى سريعا.
- أمي تناديني للقهوة، تعال شاركننا، لم ترك منذ زمن وهي تسألني عن حالك في كل مرة أدخل فيها إلى المنزل.
- دخل منصف وألقى التحية على أمي ثم جلس أرضا وقابلته أمي كأنه ابنها، والأسوأ أن الشعور كان متبادلا فهو قابلها وبدأ في الكلام كأنها أمه. أنا أشتعل غيرة حاليا.. تبا لهذا الشيطان الذي وسوس لي بدعوته إلى الداخل. نعم هو مثل أخ لي وأحب رؤيته يتوافق مع والذي لكن للمعاملة حدود. ولصبري حدود، جلست إلى جانبيها وحشرت أنفي في موضوع حديثهما، نظرت إلي أمي بابتسامة تقول بوضوح "لقد فهمتك"
- لم يوقظ غيرتي توافق أمي مع صديقي المفضل، بل الطريقة التي أنساها بها منصف تعبها وحزنها وقلقها على أبي، دون أن يقصد ذلك. أما هاري المسكين الذي لم يخلق عينا قبل أن تنام أمه فلم يحصل حتى على ابستامة، ولو زائفة.
- ربما لأنني أنا نفسي قلق على أبي، أما هو فليس قلقا أكثر من ذلك، أراد زيارته فقط من باب اكرام الصديق واحتراما لأخوتنا.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

طلبت مني أمي الذهاب معه إلى معمل النجارة الخاص به لمساعدته على إعادة تنظيم معداته، بما أنه أعلمها أنه سيشتري ماكينات جديدة وأنه يجب تغيير ترتيب كل شيء، أما هي فستقوم بتنظيف البيت في غيابي وغياب أبي.

إن كنت أتشارك مع أبي في شيء ما؛ فهو كرهنا لطقوس تنظيف البيت التي تمارسها النساء، ورائحة ماء الجافيل وكل مواد التنظيف تلك. إذن قبلت دون تردد ما إن سمعت كلمة "تنظيف البيت"

هربت من التنظيف إلى التنظيم. تنظيم معدات تقطيع و تجميل تلك الألواح التي تنتشر في كل أنحاء هذا المستودع. لحسن الحظ أنني أحب تنظيم الأشياء، أجد الأمر ممتعاً لحد النشوة.

موسيقى قديمة، كما نحبها نحن الإثنين. نجارة وقطع خشب في كل مكان، بدأنا بالمكانس، جمعنا كومة بحجم سيارة في أحد أركان المعمل، قال أنه سيتخلص منها قريباً، تملكني رغبة في تجميعها وإشعالها ورؤية النار تلتهمها عن آخرها، أريد ذلك! "دعنا نحرقها بعد غروب الشمس! ستكون تدفئتنا الليلة" قلت بحماس. لم تكن إجابته إلاّ القبول. بدأنا إذن في نقل الكراسي و تلك التحف الفنية الخشبية من مكان لآخر وأعدنا ترتيب معداته، المعمل يبدو أوسع و أنظف.

- حسناً! متى سنحرق هذا الشيء؟

- أنت مولوع بالنار... أنت تخيفني.

- أنا أخيفك؟ رائع هاها.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هيا بنا لخرجها ونحرقها قبل أن تهب الرياح.

- أحبك.

- هممم..

- ماذا؟ ألا ينبغي أن أحب أخي؟

ثم انفجر ضاحكا. وأخرجنا النجارة وأشعلت عود ثقاب ثم أشعلت
جزءا صغيراً من الكومة وجلست أتأمل اللهب يمشي ويأكل الخشب
ويكبر شيئاً فشيئاً. هنا بدأ الحوار الفلسفي بيننا:

- متى بدأ هاري التدخين؟

- ماذا؟

- تحمل علبة أعواد ثقاب معك دائماً لكي لم أرك تدخن، ما قصتها؟

- أحب النار فحسب، أنظر إليها كيف تأكل كل ما تجده في طر..

قاطعني قائلاً

- لا تأكل النار كل شيء..

- دعني أنهى كلامي! أنظر إليها، حارة وعنيفة، ولكنها مسالمة وجميلة في
الوقت نفسه.. كل شعلة بها عالم مصغر تحدث فيه أمور عديدة،
ستفنى قريباً، تماماً كعالمنا هذا.

- لست مخطئاً.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- عندما أموت، أريد منك أن..

- توقف حالا! لن تموت قبلي، ولن أفعل شيئاً!

- لكن...

- لا! لا أسمعك!

وغدا يبتعد عني وهو يغلق أذنيه، لا يحب منصف الموت والحديث عنها، هذا طبيعي أعتقد، بعد كل ما عاشه في بلده. انتهت النار من أكل كل ما تستطيع أكله وانطفأت، لم يبق سوى رماد ورائحة الخشب المحروق التي داعبت أنفي منذ أشعلت تلك النار، شكرني منصف على المساعدة ثم انصرف كل منا إلى بيته.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

الثلاثاء... موعد تسليم الشهادات، كنت قد أمضيت الليلة مع أبي في المستشفى، لم ننم تلك الليلة بسبب الحمس لهذا اليوم العظيم، طلبت من الطبيب إن كان ممكناً إخراج والدي لكي يحضر الحفل لكنه رفض.

- آسف لكن والدك غير قادر على الحركة، وسيكون خطراً جداً تركه بعيداً عن أعين المختصين، أرجو أن تتفهمني.

- طبعاً سيدي، صحة أبي أولى من هذا الحفل. شكراً لك...منصف قادم، أهلاً بك

- صباح الخير هاري، صباح الخير دكتور.

- هيا فلنذهب. أبي لا يستطيع القدوم.

- إذن عليه أن يستمع إلى الكلمة التي ستلقها، وإلى لحظة تسلمك لشهادتك!

- كيف؟

- دكتور، هل يمكنني الإتصال بكم لكي يشاهد والده الحفل عبر الهاتف؟

- طبعاً، اعطني رقم هاتفك

- شكراً جزيلاً، ها هو. فلنذهب نحن متأخرون.

- وداعاً أبي، وداعاً دكتور، وشكراً مرة أخرى.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

ذهبنا أنا ومنصف إلى الجامعة، وما إن دخلنا الجامعة حتى رن هاتف منصف، تحدث لمدة عشر ثوان ثم أقفل الخط وصمت.

- ماذا يجري يا أخي؟

- لا شيء، أنظر لقد حجزت أمك لنا مكاناً، رب عملك هناك أيضاً!

- لا تكذب علي منصف وقل لي ماذا يجري.

- لقد... إنه ... الطبيب، يقول أن والدك رحل... كل عزائي لك أخي...

- ماذا؟! أنت تمزح؟ أبي.... لا غير ممكن.

والذي توفي، بل قتل! انهار العالم بأسره أمامي، وانهرت أيضاً بالبكاء.. حاولت إخفاء الخبر عن أمي للحظة، لقد صدقت أنها دموع الفرح، ثم بدأ المدير في تكريم المتفوقين في كل التخصصات، ثم أتى دوري... ماذا سأفعل؟ أظن أنني سأتصرف بطبيعة... أبي توفي منذ قليل.

تسلمت شهادتي وأمي والسيد لورانس كانا أول من عانقني عندما ذهبت لتسلمها، ثم أعطاني المدير المايكروفون لألقي كلمة سريعة بعدما طلبت منه ذلك بإلحاح.

" أتوجه بالشكر الجزيل إلى السادة والسيدات أساتذتي منذ سنتي الأولى هنا، وإلى كل من ساعدني في الوصول إلى هذا الهدف الذي كنت أسعى إليه منذ سنوات، وأهدي هذا النجاح إلى أمي العزيزة، وإلى أبي الذي فارق العالم منذ نصف ساعة بعد حادث أليم.."

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

سكت الجمهور أمام بكائي، وأغني على أُمي. كان المشهد مروعا، لم أجد ما أفعله إلاّ البكاء.

أتمنى أنك تنظر إلى حالتنا بعدك يا أبي.. ذهبت دون أن نحتفل بنجاحي، ولن ترى أحفادك يلعبون حولك، ولن أحقق حلمي بجعلك تتوقف عن العمل. غبت عن الوعي بعد مدة من البكاء، واستيقظت بين عدد من الناس وممرضي الجامعة الذين كانوا بين الحضور، بكيت وأمي حتى جف جسمانا. أقلنا السيد لورانس وهو حزين أشد الحزن إلى المستشفى للإلقاء آخر نظرة على أبي قبل أن نبدأ في تجهيز مراسم الدفن وانتشر الخبر سريعا في المدينة.

رأيت أبي جثة هامدة أمامي، لمسته فلم يتحرك، كلمته فلم يجيني، صرخت فلم يستيقظ، سقطت على ركبتي أُمامي ووضعت رأسي على حافة السرير، بجانب يده اليسرى.

"آآآه يا أبي، يا والدي الغالي، تركت إبنك وزوجتك لتلتحق بعالم مجهول، لم أنت متسرع؟ ألم نتفق أن نحتفل بعد أن ينتهي التكريم؟ هاهي شهادتي، لقد استلمتها أخيرا، لكن ما فائدتها إن لم تعانقني لتهنئتي يا أبي؟؟ ما فائدة هذا الورق اللعين إن لم يكن هنا مثلي الأعلى لكي يشاركني فرحته؟؟! لماذا ذهبت يا أبي؟ لماذا؟ أتمنى فقط أن هذا المكان الذي تسرعت في الذهاب إليه سيكون أجمل من هذا العالم الذي أرهقك هما يا بابا... أحبك"

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

هكذا كلمت أبي، بضع كلمات أظنه لم يسمعها، والكثير من الدموع التي أحرقت قلبي وعيناي. ثم عدنا أنا وأمي إلى المنزل.

- أمي أنا آسف.

- لماذا؟

- لأنني أخبرتك بالأمر بهذه الطريقة أمام الجميع..

- لا تتأسف بني، لقد تطلب الأمر الكثير من الشجاعة، وأيضا لإيقاف الأشخاص الذين يسخرون من فقرنا.. آمل ذلك على الأقل.

- أنا هنا أمي، ابقى معي، أبي سيعيش في قلوبنا إلى الأبد.

- سيعيش بيننا...

لبسنا الأسود، ثم ذهبنا إلى المقبرة التي لم تكن بعيدة جداً، التحقنا بالموكب أين وجدنا الكثير من الناس، معظمهم من العائلة، وبعض الأشخاص من الجامعة بعد "خطابي" الذي أثر فيهم. مشينا ببطء، مطأطي رؤوسنا، في صمت قاتل. أبي سيعود إلى التراب. ودعناه ثم عاد الناس إلى الحديث عن الدنيا والمال، أتت الفتاة التي أخذت أبي إلى المستشفى تلك الليلة، لقد بكّت أثناء الجنازة، عانقت أمي وقامت بتعزيتها ثم عانقتني أيضاً، ثم أتى أفراد العائلة لتعزيتنا، حاولت الهروب منهم فلحقت بي الفتاة وبدأنا في الحديث.

- لماذا لا تبقى بجانب أمك؟

- هؤلاء أعمامي وهم منافقون جميعاً.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- لماذا؟ الظاهر أنهم أناس طيبون.
- لكن من كان هنا عندما احتاج أبي إلى شخص يقف بجانبه عندما كان حيا يصارع الأيام؟
- آسفة..
- أعذريني، لكن كيف سمعت بموت أبي؟
- لقد كنت هناك في الحفل، أعمل في جريدة الجامعة كمصورة.
- اوه حسنا..
- أدعى إليزابيث! آسفة لم أقدم نفسي.
- وأنا هاري..
- الحياة هكذا يا هاري، يوما تبتسم ويوما تعبس.
- متى ستبتسمين يا حياة؟
- أظن أنه علي الذهاب قبل أن تمطر، هل تريد أن أوصلكما إلى البيت؟
- نعم من فضلك، لكن انتظري دقيقة.
- ذهبت لأخذ أمي من بينهم فأتى أحدهم يعزيني ويذكر أبي فأوقفته قائلاً.

- لا تحتاجون إلى هذه الأقنعة، أنتم لا تهتمون لموته، أسمع بعضكم يتحدث عن التجارة والاموال والحياة في حضرة أخيك الميت. لا يحق

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لكم أن تقولوا أنكم هنا الآن بعدما وافته المنية، هو لا يحتاج أحدا بعد اليوم، أين كنتم عندما كنا ننام دون عشاء؟ أين كنتم عندما طرد من عمله واضطر إلى المشي لساعات بل لأيام لإيجاد عمل آخر؟ أين كنتم عندما قبع في المستشفى لأسبوع كامل؟ كفاكم نفاقا.. هيا بنا أُمي.

عدنا إلى البيت وكلنا حزن على فقدان أبي، أصبح سلوكي أكثر عدوانية، لكن هذا صعب بالنسبة لي... لقد اعتدت على السباحة في بركة آمنة بين ضفتين قريبتين من بعضهما لكن في ملح البصر، وجدت نفسي وسط محيط عميق وعظيم الاتساع، أرى في الأفق ضفة وحيدة لكنني لن أستطيع الوصول إليها لأنني لست سباحا ماهرا، لكن يجب أن أسبح، التقدم بنصف خطوة لا يزال تقدما.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أصبحت حياتي مختلفة تماما، أصبح البيت مظلماً، أمي لا تكلمني إلا قليلاً، العمل أصبح بلا ذوق، لم أعد أخرج من فراشي. اقتربت مني أمي وجلست بجانبى.

- هاري، أعلم أننا حزنان على أبيك، لكنه توفي منذ شهر، والوقت لا يتوقف بموت أحدهم، علينا أن نعيش كما يريد أبوك أن نعيش، فهو يرانا من هناك.

- أنت محقة، لكن هذا صعب..

- حتماً، لكنك ستفعلها، وسأفعلها.

خرجت وأمي لتتناول بعض المثلجات ونغير قليلاً من ذلك الجو الحزين الذي خيم علينا. أمضينا أمسية جميلة، وما زادها جمالا رؤية أمي تبتسم من جديد، صارت ابتسامتها أغلى من ذي قبل، لا أريدها أن تنطفئ أبداً.

غريب كيف تفتح الموت أعين الأحياء، تجعلنا نقدر حقاً الأشخاص، وتجعلنا أكثر ارتباطاً بأشياء لم نكن نعيها اهتماماً قبل موت الشخص، قد تكون صورة، هدية، رسالة، أغنية، أو حتى تاريخاً أو مقولة. فتحفر في ذاكرتنا إلى الأبد. المشاعر أيضاً تخلد بالموت، فعلاقتنا بالأموات غالباً ما تكون أحسن منها مع الأحياء، بل أكثرنا يميل إلى جعل شخص ما صديقه المقرب أو حبيبته بعد وفاته، مع أنه عندما كان حياً يرزق لم يتبادلا السلام إلا نادراً. تبقى الموت من أعظم المعضلات التي لن يفك لغزها إلا من عايشها، ومن عايش الموت فهو حتماً ليس بين الأحياء الآن.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لا نعرف كيف تنتقي الأرواح التي ستأخذها في يوم معلوم، ولا عدد الأرواح التي ستحصدها، ولا كيف ستأخذ منا آخر نفس، لهذا يقولون عش كل يوم كأنه آخر يوم في حياتك.

هل تريد أن يكون آخر يوم في حياتك يوم عمل شاق ثم سيارة تشتتك أشلاء ودماء؟ ثم تترك وراءك أشخاص لا يملكون سوى بعضهم البعض؟ لا حتماً، لكن الموت قررت أنك ستلاقيها هكذا، ولقد كانت لها الكلمة الأخيرة. وماذا بعد الموت؟ هل ستعيش حياة ثانية؟ هل سترى أقربائك الذين فقدتهم مجدداً؟ هل ستكون سعيداً؟ أم أنك لن تجد شيئاً... فقط النهاية وينطفئ شريط حياتك هكذا؟ سيكون سخيفاً أن لا ترتحل أرواحنا إلى المكان الذي تنتهي إليه، وأن لا تلتحق بالجنات التي ولدت فيها. بعد أن تتطهر من قذارة الدنيا في جحيم السماء.

عدت وأمي إلى المنزل، ونمت في حضنها، لا أدري لماذا لكني احتجت لذلك، وهي لم تمنع كأنها ستستفيد بطريقة أو بأخرى من ذلك.

عزمت على أن أغير حياتي صباح الغد، سأنفذ الغبار عن سلاحي وسأحمله وأخوض معارك الحياة حتى آخر قطرة من دمي. غداً سأحدث أُمي عن الموضوع وأرجو أن يوقد فيها بعض الأمل في استرجاع حقنا.

القصة تكتب بقلب الصفحات

- صباح الخير هاري.
- صباح الخير أُمي، هل نمت جيدا؟
- نعم حبيبي، ماذا عنك؟
- كطفل صغير.
- تعال واجلس بجانبني، قهوتك جاهزة.
- حسنا، والجريدة على المائدة؟ هل أصبحت عجوزا لهذه الدرجة؟
- هاها، إنها جريدتي، لا تهتم.
- دعيني أقرأها! ربما سأجد مسابقة فأصبح مليونيرا.
- لقد استيقظت للتو بني لكنك لا زلت تحلم.
- وهل الأحلام ستتحقق يوما؟
- لا أدري...

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أخذت أتناول فطور الصباح وأنا أقلب تلك الجريدة باحثاً عن شيء قد يثير انتباهي، ويجعل عقلي يتوقف عن التفكير في أبي الذي ذهب ولن يعود. حتى وقعت عيني على إعلان، محامي يبحث عن طالب متخرج حديثاً للعمل كمساعد، بأجر محترم وخبرة مهنية تضاف إلى سجله. قصص الإعلان واستحمت ثم قبلت أمي وقلت لها أنني سأعود سريعاً. هل هذه علامة؟ هل سيعينني هذا الشخص؟ هل أنا جاهز لهذه المهنة؟ لا وقت للتساؤل، علي أن أتولى أمور حياتي، إن لم يكن هناك فرصة لإسعاد أبي، لا يزال هناك أمل في إسعاد أمي.

كان المكتب غير بعيد عن مقهى عمي لورانس، أخبرته أنني سأحاول تغيير العمل إلى عمل متعلق بدراستي، قال لي أنه يتفهم الأمر وكرر أنه مرحب بي في أي وقت عنده. شكرته وذهبت إلى هذا المكتب.

"السيد دانيال ستونز - محامي معتمد"

كان الباب مفتوحاً فتقدمت ببطء

- أهلاً، هل يمكنني مساعدتك؟

- أهلاً سيدي، لقد رأيت إعلاناً على الجريدة أنكم تعرضون عملاً على طالب متخرج مؤخراً.

- مرحباً بك، دانيال ستونز.

- هاري ماك-كاين

- تشرفت بمعرفتك.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- كل الشرف لي.

- إذن، أية شهادة تحمل؟ هل لديك خبرة في المجال؟

- لقد تسلمت شهادة ليسانس في الحقوق مؤخراً لم أخرج بعد لكن ظننت أنه لا ضرر في المحاولة... هذا أول عمل رسمي أتقدم إليه.

- أنت محق، لا تملك شيئاً لتخسره، بل كل شيء لتكسبه. لقد نسيت أن أوضح في الإعلان أنني سأعطي الأولوية إلى الأشخاص الذين هم في حاجة إلى العمل.

- أنا أحتاج إلى هذا العمل سيدي، أبي توفي منذ مدة قصيرة وأنا وحيد أمي وهي لا تعمل.

- أنوي العمل معك وأرى أنه سيكون مفيداً وممتعاً في الوقت ذاته.. لقد عينتك، أحضرتي هذه الوثائق فقط وستبدأ العمل حالما تريد.

- أرجو ذلك. شكراً لك سيد ستونز، هذا كرم منك.

- ادعني دانيال فقط من فضلك.

- شكراً لك دانيال، لقد أحضرت معي الوثائق المطلوبة مسبقاً.

- هذا رائع!! أنا معجب بك! دعني أقدم لك المكان إذا. اتبعني من فضلك.

- حسناً.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هنا مكتبك، مباشرة أمام باب الدخول، مهمتك ستكون تنظيم المواعيد وإرشاد المواطنين، قد أكلفك بمهمات أخرى من وقت لآخر لكن لا تقلق حيال ذلك. المكتب مفتوح من الثامنة صباحا حتى الرابعة مساء، وهناك استراحة نصف ساعة في منتصف النهار. هل هذا ملائم؟

- ملائم جداً. هذا غريب قليلاً أنك عينتني رغم أنني لم اتخرج بعد.
- إنها قصة طريفة، سأحكى لك يوماً ما. ابدأ بترتيب مكتبك كما يحلو لك.

- لن أغير شيئاً، أرى أنه رائع هكذا.
- كما يحلو لك، سأتركك تتأقلم مع محيطك الجديد، سأكون في مكتبي إن احتجت إلي.
- حسناً.

دانيال شخص لطيف، يتكلم كثيراً مما يجعلك ترتاح له من أول لحظات حديثك معه، أتمنى أنه حقاً هكذا ولا يسطنع شخصية بسبب عمله الذي يتطلب منه مجهوداً نفسياً كبيراً.

قاطعت تفكيرى امرأة عجوز دخلت علي ببطء

- صباح الخير.

- صباح الخير سيدتي، تفضلي بالجلوس

- شكراً، أنا هنا لرؤية السيد ستونز.

- هل لديك موعد؟

- نعم، على التاسعة لكنني تأخرت بسبب الزحام المروري.

- لا مشكلة، السيد ستونز متوفر حالياً، تفضلني معي.

كان يفصل بين مكنتي ومكتب المحامي باب خشبي عتيق. دخلت السيدة وأغلقت الباب فرجعت إلى مكاني وبدأت في التفكير، هل سأصبح هكذا يوماً؟ هل سأصبح فعلاً "المحامي هاري ماك-كاين"؟ طبعاً سأصبح كذلك! وسأكون محامي والدتي، وأول قضية سأناولها هي مقتل أبي. لن تعلق القضية بمجهول! ليس وأنا على قيد الحياة. آآه كم أشتاق إليك يا بابا. هنا تلقيت ضربة على الرأس، كلمات أبي التي قالها لي قبل وفاته: "إن أتت تلك اللحظة، أريدك أن تسامحني، لأن العديد من المتاعب ستواجهك، أريد منك أن تعتني بأمك جيداً كما فعلت دائماً وأن تشغل مكاني كما علمتك." أية متاعب يا أبي؟ ماذا خبأت عني طوال هذا الزمن؟ لقد طويت صفحة الماضي، لكن حبر وفاتك قد ترك أثره العميق على كل صفحات كتابي يا أبي... تماماً كما سال حبر سيالتي على كراسي عندما كنت صغيراً وتركت ذلك الحبر نقطة سوداء على كل صفحات دفتر الرياضيات خاصتي، لكن تلك النقطة كانت تتلاشى كلما أدريت الصفحات حتى اختفت في آخر صفحات الدفتر، أما الهالات السوداء التي خلفها حادثك على عيني لم تتلاشى يا أبي، نقطة الحبر لم تتلاشى بل أخذت تكبر وتزداد ظلمة

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

كلما طويت صفحة من صفحات الحياة، حتى أظلمت حياتي يا أبي.
هل تسمعني يا أبي؟

موت أبي... نوتة حزينة تضاف إلى أوركسترا قائدها مجهول،
وموسيقاها الدماء والدموع، نرغم على الاستماع إلى هذه السمفونية
المنظمة بحكمة مع أنها تؤلم قلوبنا و آذاننا.

- هل أنت بخير هاري؟ هاري؟

- نعم نعم أنا بخير، لقد تهت في أفكارى فقط.

- هل يمكنك إغلاق المكتب لدقيقة؟ أريد أن أكلّمك في أمر ما

- حاضر.

أغلقت الباب الخارجى ثم ذهبت إلى مكتبه

- اجلس من فضلك.

- شكرا

- إذن.. لا أعرف تماما كيف أبدأ الحديث، إذا سأذهب إلى الهدف
مباشرة. أعرف أن وفاة والدك صعبة بالنسبة لك، لكن عليك أن
تخرج من قوقعتك وتتكلم مع شخص ما، أن تفرغ قلبك، سيساعدك
ذلك صدقني. هل يمكنك الاتصال بشخص ما؟

- لا أملك هاتفًا.. لا تقلق يا دانيال، أنا بخير.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- والداي توفيا معا في حادث سير، ودخلت في حالة تشبه حالتك، لكنني وجدت من أعانني في الخروج وأنا ساعينك في الخروج منها بدوري.

- آسف بشأن والديك، وشكرا جزيلا لك.

- سأصبح صديقك، إن كنت لا تمنع طبعاً.

- لا أمانع البتة..

تصافحنا ثم أخذنا نتحدث عن بعضنا البعض وقصص حياتنا، لم أكن أتوقع أن يكون تكوين صداقة سهلاً لتلك الدرجة. أصبح دانيال صديقاً لي، تبا... لم أفكر أنه سيكون علي ترك العمل بعد ثلاثة أشهر للعودة للدراسة... ماذا سأفعل؟

أنا أحمق، علي أن أفكر فيما سيحدث طوال هذا الصيف.

خرجنا لأخذ الفطور.

- إذن، هل ستخبرني بالقصة؟

- أية قصة؟

- القصة الطريفة وراء تعييني أنا ولا أحد غيري.

- آه، طبعاً. أنت الفتى الوحيد الذي تقدم للعمل معي، باقي المتقدمين كانوا فتيات فقط، وزوجتي تغار لدرجة أنها قد تنام هناك في المكتب إن عرفت أن هناك فتاة تشاركني المكتب طوال النهار.

- هذا مضحك، لكنه دليل عن الاهتمام! أضفت ضاحكاً

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- نعم، ماذا عنك، هل لديك شخص في حياتك؟
- امم.. لا، حياتي لا تسمح لي بتكوين علاقات مع الناس، حاليا.
- صدقني ستكون علاقات عديدة في المكتب، وها قد بدأت بصديق جديد!
- أجل هاها، إنها بداية موفقة.
- واصلنا الحديث عن أشياء تافهة، لكن الحديث معه كان ممتعا للغاية. سمح لي بالانصراف مبكرا لأنه سيكون مشغولا، وكالعادة أول ما أفعله هي الذهاب لرؤية أمي.
- أهلا أمي!
- مرحبا حبيبي، كيف حالك؟
- في أحسن حال ماذا عنك؟
- أنا بخير كيف كان يومك؟
- لقد وجدت عملا جديدا، مساعد في مكتب محامي.
- اوه هذا رائع عزيزي، أنا فخورة بك.
- صاحب المكتب أصبح صديقي هاها.
- واو، جيد!

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أمضينا الأمسية نتكلم ونتكلم حتى نمنا، دون عشاء.

- هاري! استيقظ حبيبي ستأخر عن العمل.

- أنا مستيقظ أُمي. صباح الخير

- صباح الخير بني. فطورك في المطبخ سأذهب إلى السوق،

- اغلق الباب جيدا عند خروجك.

- حسنا أُمي، يوما موفقا.

تناولت فطوري وارتديت بذلتي ثم ذهبت إلى العمل متأخرا بخمس دقائق، لكن دانيال ليس هنا، المكتب مغلق. سأنتظر أمام المكتب لعله يأتي، أرى من بعيد إليزابيث قادمة؛ شقراء معتدلة القامة، زرقاء العينين، تمشي باستحياء بقامات متقاربة قصيرة، الغريب في الأمر أنها لا تبتسم. هل هي آتية إلى المحامي؟ غريب أمرها.

- أهلا إليزابيث.

- اوه هاري! كيف حالك؟

- أنا بخير شكرا، ماذا عنك؟

- أنا بخير، ماذا تفعل هنا؟

- أنتظر المحامي.

- هل قررت أن ترفع دعوى ضد الشخص الذي...

محمد الصديق وردى _____ بعد فوات الأوان

- لا، ليس بعد.. أُمي لا تريد التحدث في الأمر، أنا أعمل في مكتب السيد ستونز.

- اوه هذا جيد! سيمنحك ذلك خبرة في مجالك.

- نعم، ماذا عنك؟ أين تذهبين؟

- إلى مكتب المحامي.. أنا أخسر قضية وقيل لي أن السيد ستونز سيمكنني من استرجاع حقي المسلوب.

- لقد أتى دانيال.

- مرحبا، آسف على التأخير.. تفضلي بالدخول إلى مكتب هاري ريثما أجهز نفسي.

- حسنا..

- أعيراني لحظة صغيرة وسنتمكن من البدء.

- خذ وقتك سيدي، سأحدث إلى هاري قليلا. إذن هاري، هل ستكون معنا في المكتب؟

- لا.. هذا ليس ضمن مهامي.

- اوه حسنا، علينا أن نلتقي في ظروف عادية يوما ما هاها.

- نعم، سيكون ذلك رائعا.

- اعذرني سأكلم السيد ستونز ونحدد موعدا بعد ذلك.

- لن أتحرك من مكاني، خذي وقتك.

وقفت مبتسمة ثم ذهبت إلى المكتب وتركتني أتأمل مشيتها الخفيفة وشعرها الذهبي الطويل. ثم أغلقت باب المكتب ولمحتني بنظرة وابتسامة أخيرة. إنها تلعب على أعصابي.. لم أشعر هكذا من قبل.

عد إلى الأرض هاري، لست مخلوقا لهذا. لا شيء من هذا ينطبق على تفكيرك التافه هذا، إنه فقط لطف وتصرف بأدب، ليس إعجابا ولا شيئا من هذا القبيل. أنا مقتنع بهذا التفكير، لكن هناك جملة واحدة ترددت في رأسي مئات المرات "ماذا لو كانت كذلك؟" أردت إشغال عقلي ففتحت النافذة و نهضت لترتيب الملفات في الخزانة المعدنية التي كانت قبالة مكتبي. لم أستطع محو نظرة هذه الفتاة من عقلي.. مهما حاولت، حتى فتحت باب مكتبه وشكرت دانيال ثم نظرت إلي وهي تتجه نحو باب الخروج.

- إلى اللقاء هاري! أبلغ سلامي إلى والدتك.

- انتظري!!

- نعم؟

- مم.. هل يمكننا أن نلتقي في "ظروف عادية"؟

- هل هذه دعوة إلى موعد؟

- لا أدري، ربما.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- سأعتبرها كذلك هاها، غداً سيفتح المتحف من جديد، هل سترافقني إلى هناك ثم نذهب للعشاء معا؟

- فكرة رائعة!

- نلتقي هناك على الساعة الرابعة عصراً.

- سأكون هناك، إلى اللقاء إليزابيث!

ابتسمت ثم غادرت المكان، ماذا فعلت للتو؟ هذا هراء... هراء. لكني قمت بذلك رغم كل شيء، سترى إلى أين ستوصلني حماقتي. سأعود للعمل الآن.

إنتهى يومي بلا شيء يذكر، كلام مطول مع دانيال وأوراق كثيرة ولا تنتهي، لكنه كان يجعلني أنسى ضغط العمل بحكايات القضايا التي تولاه منذ بداية عمله. هذه طليقة تريد سلب زوجها السابق ماله، وهذه أم تريد العدالة لابنها الذي سجن ظلماً، وهؤلاء إخوة تخاصموا بسبب الميراث وكيفية توزيع أبيهم له قبل موته.

انصرفت إلى البيت لأحكي لأمي كل ما جرى اليوم، كطفل بعد أول يوم له في المدرسة ولم تكن والدتي أقل حماساً مني، ثم نفضت الغبار عن صندوق الخشب الصغير الذي سبق وأن وضعت فيه مبلغاً مالياً معتبراً. أخذت منه القليل، وأمي تراقبني وهي تحذرني بابتسامة جميلة من النساء وعالمهن الخيالي.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

الأمل، كل ما كان ينقصني في هذه الحياة منذ أن فارقنا والدي.
اليوم سأقابل إليزابيث أمام المتحف، أنا لا أعرفها جيدا ولا هي تعرفني،
لكنها كانت كافية لأن تكون جرعة الأمل الذي احتجت إليه، لا أريد منها
شيئا لحد الآن سوى اشباع حبي للاستطلاع وللحفر في أعماق شخص
ما وغرس شجرتي حتى تبعث جذورها داخل قلبه.

"ما أضييق العيش لولا فسحة الأمل، الأمل هو ضوء خافت بأخر نفق
مظلم، الأمل حياة، الأمل طاقة وإيجابية وحب وسلام داخلي... الأمل
هو هذه الضحكة."

الرابعة مساءً، أنتظر منذ قليل أمام باب المتحف، لا يوجد عدد
كبير من الزوار. ربما لأن الناس لم تعد تهتم بالماضي، وتتطلع
للمستقبل، من يدري؟ ربما لم يبق إلا القليل من الناس الذين رفضوا
محو صور الماضي التي تكاد تندثر، وأنا من بينهم. إليزابيث قادمة،
ترتدي فستانا أحمر قصيرا به ورود، وقبعة صغيرة على رأسها وتبتسم
لرؤيتي من بعيد.

- أهلا هاري، آسفة على التأخير.

- لا عليك، لم أنتظر كثيرا، كيف حالك؟

- في أحسن حال، ماذا عنك؟

- أنا بخير كذلك، دعينا ندخل.

- هيا بنا ماذا تنتظر!

أمسكت بمرفقي وأخذت تدور بي حول صور قديمة وآثار وأشياء لم ألاحظ نصفها، لأن التحفة كانت أمامي تمشي وتكلم. أنا معجب بها.. تبا لي. أما هي فلا تهتم سوى لتلك الصور المعلقة في كل مكان على جدران المتحف. تقف أمام صورة، تراقبها كأنها ستعود للحياة، تلك الصورة الجامدة لن تتحرك يا عزيزتي، تراقب وتراقب ثم تضع تعليقاً كأنني أعرف معنى فتحة العدسة أو مستوى التعريض للضوء... ثم تنتقل إلى الصورة الموالية، علي كسر الصمت، لكن لقول ماذا؟ هل يجوز مقاطعة شخص شغوف أثناء تأمله لأجمل الأشياء في نظره لفعل أو قول شيء تافه؟ أعتقد أنه لا يجوز ولو لقول شيء بالغ الأهمية، سأكتفي بالصمت.

- هذا ممل أليس كذلك؟

- ماذا؟! لا أنا أستمع كثيراً.

- حقا؟

أومأت برأسي لقول "نعم"

- جيد إذن..

- الصورة أقوى وأصدق من ألف كلمة.

- لا أظن ذلك هاري...

- كيف ذلك؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- الصورة ليست قوية، ولا صادقة.. ليست صادقة ولا كاذبة، فهي لا تنقل رسائل ولا مشاعر

- لا أوافقك الرأي، أنظري.. صورة مليئة بالألوان لطفل صغير يلعب وسط حقل سنابل في يوم ربيعي مشمس، تنم عن السلام والسعادة. صورة شجرة سقطت أوراقها في ديكور داكن وسحابات رمادية، ألا تنقل مشاعر اكتئاب وحزن؟

- بلى.. لكن هذا ممكن في الرسم واللوحات الفنية فقط، لأنك لا تتحكم في اللقطة عندما تريد تصوير شيء ما.

- لكنك تتدخل بطريقة ما: زاوية التصوير، التعديلات التي ستقوم بها بعد أخذ الصورة كتصحيح الألوان إلى غير ذلك.

- أنت عنيد جداً، يعجبني هذا.

- هاها... افترض أنك تحبين التصوير، أليس كذلك؟

- طبعاً، أعيش لأخذ الصور، كنت أخذ الكاميرا الخاصة بي أينما أذهب، لكن شخصاً قام بكسرها...

- آسف لسماع ذلك، من يكون هذا الشخص؟

- شخص كنت في علاقة معه، لكنه كان مدمناً شرب الكحول ذات ليلة أتى إلى منزلي مخموراً فقام بكسر العديد من الأشياء وقام بأشياء.. لا أريد الكلام في الموضوع، سيتولى دانيال الأمر، لقد رفعت قضية ضده.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- ما كان علي أن أسألك، آسف حقاً.
- لا عليك، لقد اعتدت على الأمر.
- ماذا تفعلين غير التصوير؟
- أدرس المسرح، انتقلت إلى السنة الأخيرة
- لدينا ممثلة هنا! هاهاها
- ليس حقاً، أكتب سيناريوهات فقط، لا أحب التمثيل.
- لا تجيدين الكذب...
- ابتسمت وهزت رأسها لتقول لا.
- إليزابيث أكبر سناً مني، هل سيشكل هذا مشكلاً؟ هذا حتى إن كان سيحدث شيء بيننا، أنت تحلم يا هاري.
- إذن.. من منا سيختار أين نأكل؟ آسفة مسبقاً، أنا أصبح شخصاً آخر عندما يأتي وقت الأكل هاها.
- لا مشكلة، أنا أيضاً وحش أكل نائم. اختاري أنت اليوم وأنا المرة القادمة.
- ستكون هناك مرة قادمة؟
- ماذا؟
- لا شيء.. هناك مطعم لطيف على بعد شارعين من هنا.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان
- رائع، فلنذهب إليه.

بدأنا في المشي وهي تتكلم وتحديثني عن الأماكن التي ذهبت إليها من أجل أخذ صور بعدستها وأنا أصغي و أنظر إليها بابتسامة من حين لآخر. لكنني تركت عقلي أمام المتحف، أين قالت "هل ستكون هناك مرة قادمة؟" علي كبح نفسي وإلا سأتسرع و سأسقط في دوامة لامتناهية.. الآن أفهم قليلا مما كانت أمني تحذرنني منه، وصلنا إلى المطعم، يبدو فاخراً، كل شيء خشبي فيه، الطاولات والكراسي، الجدران، حتى قائمة الأطباق كانت منقوشة على قطعة خشبية متوسطة الحجم، أنيق جدا.

طلبنا ما سنأكله ثم أخذت تنظر إلي وتبتسم، وضعت يدا فوق الأخرى على الطاولة.

- لم أصمت منذ أن التقينا، لا بد أنك مللت.

- لا أبدا، أصبحت معجبا بالتصوير بفضلك

- حدثني عن نفسك أنت، من هو هاري؟

- لا أحب الضغط، أشعر كأنني في لقاء صحفي هاها، أنا شخص ما. لا أعرف تماما من أكون ولا إلام أنتهي، أبحث عن إجابات لأسئلة عديدة.

- هممم.... فيلسوف!

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- ليس حقاً، أنا فقط لم أتعرف على نفسي بعد، على عكسك على ما يبدو.

- تماماً. هل لديك هوايات؟

- تريدان الصراحة؟

- طبعاً. الحقيقة وكل الحقيقة.

- لا أملك هوايات، منذ فترة مراهقتي وأنا أمضي أوقات فراغي في العمل، لكن منذ عام تقريباً أصبحت أكتب خربشات على مناديل ورقية في المقهى عندما لا يكون هناك أحد.

- واو، هل يمكنك إلقاء نظرة على كتاباتك؟

- آسف، لا أحمل منها الآن، لكن يوماً ما ربما.

- ماذا بعد؟ هل أنهيت دراستك؟

- ليس بعد، لا. تسليم الشهادات الذي حضرته كان الأول فقط، لا تزال أأامي سنتان لأنني دراستي.

- كم عمرك هاري؟

- بعد شهرين سأتم سنتي الثانية والعشرين.

- تبدو أكبر من ذلك... بني. وانفجرت ضاحكة

- وأنت تبدين أصغر سناً.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- أنا أكبر منك بستين يا طفلي هاهاهاها

- انظري الأكل قادم.

- أخيراً!!!

إليزابيث فتاة رائعة، دائماً مبتسمة ولديها حس فكاهي متميز، لن
أمل سريعاً معها.

"أعطي الناس ابتسامة فقد يكون هذا أفضل ما يجده أحدهم طوال
يومه" - جاكسون براون

انتهينا من الأكل في جو لطيف تخللته نوبات ضحك بسبب أشياء
عشناها كلانا في الماضي ثم خرجنا لأوصلها إلى البيت وأعود إلى المنزل
أنا الآخر.

- لقد أمضيت وقتاً ممتعاً برفقتك هاري.

- أنا أيضاً، إذن هل ستكون هناك مرة أخرى؟

- لا أدري، سندع الأيام تجيبنا.

غمزت بابتسامة صغيرة ثم استدارت ودخلت إلى بيتها، ماذا حدث
للتو؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

عدت أدراجي وأنا استحضرت كل ما عشته اليوم برفقتها والابتسامة
لا تفارق وجهي حتى عدت إلى تذكرك أبي، كم كنت أتمنى أن يعيش حتى
اليوم ليعطيني نصائح في هذه المرحلة من حياتي، لا زلت أحتاجك أبي!

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- مساء الخير أُمي.

- مساء الخير عزيزي، كيف كانت أمسيتك؟

- رائعة حقاً، ماذا عنك؟

- جيدة.. وقت الحكاية! أريد معرفة كل التفاصيل!! لا تنسى أي شيء

- حسناً دعينا نجلس أولاً.

ثم بدأت أحكي لها كل ما حدث وهي تبتسم وتعلق على ما فعلته وما قلته، لم أرها هكذا أبداً. نعم هي بداية حياة جديدة، لكن لن أقوم بدعوتها إلى المنزل، ليس بعد. أُمي كانت هي من يحذرنى من التسرع وها هي تقترح علي دعوتها.. رائع!

أسبوعان مرا على هذه الحالة، عمل، لقاء مع إليزابيث أو منصف، ثم سهرة مع أُمي ونوم. حياتي أصبحت مستقرة نسبياً، تقدمت قضية إليزابيث إلى حد بعيد ويوم الجلسة الأخيرة لإلقاء الحكم النهائي، طلبت مني الحضور إلى جانب دانيال فكانت فرصة لحضور محاكمة حقيقية لتعلم أشياء متعلقة بمجال دراستي، ورؤية ما يجري خلال المحاكمة. كنت قد ألقيت نظرة سريعة على أوراق القضية وملف المتهم، فقط من باب الفضول، أردت معرفة ملامح هذا الشخص الذي سمعت الكثير والكثير عنه. أتيت مسبقاً مع دانيال لتحضير بعض الأوراق والمستندات، منعني الحارس من الدخول بحجة أن دخول المواطنين

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

غير مسموح قبل بداية الجلسة، قررت إذن أن أعود إلى سيارة دانيال لأنتظر موعد الدخول. فإذا بي أرى شخصين يقومان بشيء غريب؛ كأنهما يتخفيان عن الأنظار، الشخص الأول يعطي مالا للثاني، بعدما قام بعده ثم وضعه داخل سيارة سوداء ثم ذهبوا كل في اتجاهه. ماذا حدث؟ هل كان ذلك القاضي مع رفيق إليزابيث القديم؟ ماذا يفترض بي أن أفعل الآن؟

أتى موعد الدخول، وأنا أفكر فيما حدث قبل قليل، سأحاول أن أخبر دانيال بالأمر بما سيعرف ما يجب القيام به.

دخلت القاعة الرئيسية، فوجدت إليزابيث برفقة مجموعة أشخاص، لوححت لها بيدي من بعيد ثم بدأت في البحث عن دانيال، وبعد لحظات أتى أخيراً.

- دانيال! علي أن أخبرك بشيء ما على انفراد.

- ماذا هناك؟

- لا أدري إذا كان ذلك صحيحاً لكن عندما عدت للإنتظار في سيارتك رأيت شخصين كانا...

- علي أن أذهب الآن، أكمل القصة فيما بعد.

- لا! انتظر.

- لا أملك وقتاً هاري.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

دق جرس لإعلان بداية الجلسة ولم أتمكن من إخباره بشيء.. لا يمكنني الدخول، سأجلس على إحدى درجات السلم الكبير أمام باب المحكمة. كان علي فعل شيء ما حيال ذلك، إن خسرت إليزابيث ودانيال القضية فسيكون ذلك بسببي، سأعود فقط إلى البيت، لا أريد سوى أن أرمي بنفسي في أحضان فراشي غير المريح والغرق بين أفكارى قبل أن تعود أُمي إلى البيت.

فعلت ما صممت على فعله ونمت طوال اليوم، لم أشعر بشيء، فقط ثقل عظيم فوق رأسي وعبء عظيم أثقل كتفي، بسبب ما حدث اليوم، لم ألحظ عودة أُمي ولا بأن هناك أشخاص آخرين معها. كل ما كنت أفكر به هو كيف جرت المحاكمة، وفيما إذا كان لما أردت قوله لدانيال تأثير على النتيجة النهائية. غدا سأعرف.

في الغد ذهبت إلى المكتب لأجد دانيال الذي كان بمفرده أمام الخزانة.

- صباح الخير

- أهلا هاري، أين كنت البارحة؟ لقد بحثت عنك في كل مكان.

- آسف لقد شعرت بالغثيان ولم أرد جلب الإنتباه إذن عدت إلى المنزل.

- وهل أنت بخير الآن؟

- نعم أنا بخير شكراً. إذن، كيف كانت نهاية القضية؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- كارثة!! لا أفهم كيف حكم القاضي لصالح ذلك الشخص! رغم اعترافه بكونه عنيفا معها وكل ذلك الهراء، كل هذا التعب أهدر، كل مجهوداتنا ضربت عرض الحائط. أصبح كل شيء فاسداً لا يمكن أن يستغل القاضي ثغرة في القانون ضد الضحية لصالح المتهم، إنه عمل المحامي!! هذا لا يعقل.

- هل يمكنني أن أعرف ماذا كان رد القاضي؟

- لا أريد الحديث في الموضوع، هل يمكننا تغيير الموضوع.

- طبعاً، هل تريد قهوة؟

- نعم شكراً هاري.

- تفضل. آسف على خسارتك القضية صديقي.

- لم أكن لأخسرها صدقي... ماذا أردت أن تخبرني بالأمس؟

- لا شيء مهم لا تشغل بالك.

- قل لي، أريد أن أعرف...

- لقد.. أنا.. نسيت ما أرت قوله.

- حاول أن تتذكر ما جرى بالأمس فأنت لن تخرج من هنا قبل أن تخبرني.

- حسناً... لقد رأيت شخصا يعطي القاضي مبلغاً مالياً قبل بداية الجلسة مباشرة وسط موقف السيارات.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هل كان قصير القامة ويرتدي بذلة سوداء وربطة عنق ذهبية اللون؟
- تماما! هل له علاقة ب...

- إنه هو! رفيق إليزابيث السابق!!! لماذا لم تخبرني من قبل؟

- لقد حاولت لكن الوقت داهمك ولم تتمكن من الاستماع لي...

- كان علي أن أستمع لك هاري، جيد أنك لاحظت ذلك.

- ماذا ستفعل الآن؟ هل ستصل إليزابيث؟

- لا.. ليس بعد، دعني أولاً أذهب إلى صديق لي، ثم سنأتي لأخذك لكي
تدلي بشهادتك، سنقوم بأعظم عمل في هذه القضية، سيتذكرون
اسمينا هذه السنة.

- إن كان ذلك سيساعد.. سأنتظر.

- هاري أنت لا تتخيل كم أنا سعيد بسماعي لهذا الخبر.. سأعود سريعا.

خرج دانيال مسرعا وركب سيارته وانطلق، بينما جلست أمام
النافذة أراقب الناس التي تمشي وسط الشارع وأحتسي قهوتي، حتى
دق الباب.

- أهلا هاري، هل يمكنني الدخول؟

- أوه أهلا إليزا، كيف حالك؟

- لست بخير، لقد... لقد خسرتنا.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

وبدأت في البكاء وهي تكرر جملة واحدة "لقد نظر إلي وابتسم...
لقد قتلتي" فقامت بحضنها وحاولت تهدئتها، جلبت لها قهوة وطلبت
منها الجلوس. "سيكون كل شيء على ما يرام، ثقي بي" هذا كل ما
استطعت قوله، طلب مني دانيال كتمان ما قلته له صباح اليوم، فلم
أجد إلا محاولة استعمال لغة العناق والاستماع لها وهي تتحدث وتكرر
الأمر نفسه، لقد أعادت نفس الجملة خمس مرات متتالية على الأقل.
ثم انصرفت قائلة "شكراً لك هاري، سأعود لرؤية دانيال يوماً آخر
لست بخير حقاً. أحتاج إلى بعض الوقت لوحدي.." فتحت لها الباب
وطلبت منها أن تعتني بنفسها جيداً وأن الأمور ستتحسن، وأن المعركة
لم تنته بعد، عانقتني بشدة وطبعت قبلة صغيرة على خدي وانصرفت.

بقيت جامدا مكاني لثواني... وملامي تتغير بين حزن وسعادة
واندهاش. أغلقت الباب وعدت لمكاني أمام النافذة. بعد ربع ساعة
أتت سيارة بيضاء نزل منها دانيال يطلب مني إغلاق المكتب والنزول.

- هاري، أقدم لك الملازم هانك.

- اهلا سيدي

- تشرفت بمعرفتك هاري، إذن أخبرني بما رأيت.

- رأيت القاضي يأخذ مالا من قبل المتهم الذي كسب القضية.

- هل لديك دليل؟ صور؟

- لا.. لكن هناك كاميرات مراقبة على ما أعتقد.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان
- فلنذهب.

ذهبنا بسيارته نحو المحكمة، بدأت دقات قلبي تتسارع وحلقي
يجف.. إنها أول قضية أشارك فيها بالرغم من أنني لست رجل قانون
بعد.

توقفنا أمام المحكمة، ثم دخل الملازم على الحارس وأراه الإشارة،
ثم طلب منه أن يريه تسجيلات كاميرات المراقبة الخاصة بذلك اليوم،
شغل أحدها على نصف ساعة قبل وقت بداية المحاكمة، ظهرت فيها
أمشي نحو سيارة دانيال وبعد دقائق أتى ذلك الشخص حاملا حقيبة
بها مال، ظهر بعد ذلك القاضي الذي أخذ المال ثم افترقا. صرخ دانيال
"عرفتها!!" أخذ التسجيل ثم انصرف مسرعا بعدما شكر هانك وطلب
منه إيصاله إلى المكتب.

عدت إلى المكتب وأنا متعب من كثرة الضغط والتفكير، أتى بضعة
أشخاص يريدون ملاقة دانيال وكانت إجابتي نفسها في كل مرة "آسف
لكن السيد ستونز ليس هنا، أرجو العودة بعد ساعتين" حتى دخلت
إليزابيث، كانت الشخص الوحيد الذي لم أرد أن يغادر المكتب بتلك
السرعة، لم أردها أن تغادر هذا المكتب وأنا داخله.

- أهلا هاري!

- كيف حالك أيتها الصغيرة؟

- هاها، لقد كنت في حال أحسن وأنت؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- متعب قليلاً. دانيال لم يعد إلى المكتب بعد، لا أظنه سيعود قريباً...

- من قال أنني أريد رؤية السيد ستونز؟

- إذا؟

- أريد رؤية السيد هاري.

- ابتسمت ونظرت بعيداً، لم أستطع النظر مباشرة إلى عينيها

- مرحباً بك.

- هل يمكنني إغلاق الباب؟

- طبعاً!

- إذن.. أحتاج إلى أن أكلّم أحدهم ولم أجد غيرك، هذا سخيّف أعرف..

لكن أنت من أثق به حالياً أكثر من أي شخص آخر.

- أين السخافة في هذا؟ أنا هنا، ماذا يجري؟

- أردت أن أحدثك عن ويليام.

- ومن يكون؟

- الشخص الذي... تعرف ما أعنيه..

- أه طبعاً آسف، واصلني.

- لا أعرف ما يجب أن أقوله، لقد كان يحبني لكنه كان يستغلني في

الوقت نفسه.

- إن كان يستغلك فهو لم يحبك تعرفين ذلك.
- لا، هو لم يكن هكذا من قبل، فقط منذ أربعة أشهر عندما شكل عصابة أو انظم إليها أو شيء من هذا القبيل.
- عصابة تقولين؟
- ليست عصابة كما تتخيلها يا هاري، يعملون بطريقة قانونية إلى حد بعيد، إلا أنهم يتلاعبون بالقوانين ويستغلون الثغرات للإطاحة بأي شخص يريد الوقوف أمامهم، لديهم أعضاء في كل مكان.
- حسنا، ومنذ ذلك الوقت، كيف أصبح؟
- لقد تغير، أصبح عنيفا معي، أخذ مني أشياء عديدة، ضربني وأدخلني المستشفى ذات يوم، لقد عشت الجحيم معه..
- وبدأت في البكاء، وقفت من مكاني واقتربت منها ثم احتضنتها
- لا تقلقي... لقد انتهى الجحيم، يمكنك قلب الصفحة وبداية حياة جديدة، سيخسر تلك القضية ويرمى وراء القضبان.
- أنت لا تعرف ويليام، يمكنه فعل أي شيء! ولقد سبق وريح القضية وهو حر الآن.
- ماذا لو دخل السجن هذا الأسبوع؟
- إن دخل السجن فسأفعل أي شيء تطلبه مني.
- سنرى.. توقفي عن البكاء الآن أرجوك، تريدين قهوة؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- من فضلك.

أخذنا كوبي قهوة وواصلنا الحديث حتى أتى وقت إغلاق المكتب وكذلك وقت رحيل إليزابيث، ودعتني وذهبت في سيارتها وبقيت أراقبها منذ النافذة حتى ركبت سيارتها، لقد أحببت تلك الشقراء اللعينة. هذا أمر أكيد، لا غبار عليه.

عاد دانيال وهو يتصبب عرقا، ورمى بنفسه على أحد المقاعد كأنه عاد من معركة.

- إذن؟

- نحن على الطريق الصواب، لكن المشكل أن ويليام لا يظهر بشكل واضح على الفيديو..

- أنا هنا لكي أشهد. قد يساعد ذلك.

- لكنك لست جاهزا لمقابلتهم لوحدهك..

- جربني!

- لا أملك خيارا آخر. سنذهب غداً على الساعة التاسعة صباحا. أرجوك لا تتأخر.

- سأكون هناك نصف ساعة قبل الموعد.

- يعجبني تحمسك هاري، ستكون محاميا بارعا بعد سنوات.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

- أمل ذلك، علي أن أعود إلى البيت، أمي تنتظرني. ليلة سعيدة

- طاب مساؤك هاري.

عدت إلى المنزل وأنا أفكر، ماذا لو أعطى ويليام مالا للقاضي الثاني؟ ماذا سيحدث غدا؟ هل سأكون في خطر بعدما أدلي بشهادتي؟

استقبلتني أمي بابتسامة وعناق أنساني كل ذلك التعب، لقد افتقدتها كثيرا، لم أعد أملك وقتا لأمضيه معها منذ وحدث عملي الجديد وأصبحت أنام مباشرة بعد دخولي إلى البيت. حالتنا المادية تتحسن شيئا فشيئا، لم أعد قلقا بشأن المال لكفي لن أتوقف عن الجري وراءه، لأن أحلامي لن تتحقق بالقليل، لا أرضى بالقليل أبدا.

جلست أحادث أمي وألعب معها الألعاب التي كنا نلعبها رفقة أبي عندما كنت طفلاً، الحنين إلى الماضي أو النوستالجيا احساس عظيم؛ تمتزج فيه الأحاسيس من اكتئاب وشوق وحزن وفرح وضحك وبكاء.

في اليوم الموالي، التقيت بدانيال أمام المحكمة العليا، التي تبعد عن المكتب ببضع أميال، ثم جلسنا ننتظر ونحن نخطط لما سيجري بعد لحظات، كان يقترح الحلول وأنا أعاكسه بما يمكن أن يقوم به القاضي أو ويليام لصدا.

كان ينظر إلي بإعجاب كلما عرضت عليه مشكلة لكل حل اقترحه ثم قلت مقولة قد أكون قرأتها في أحد الكتب أو ألفتها للتو، لا أدري. المهم، الفكرة هي أنه عليك أن تفكر مثل خصمك لتتمكن من هزيمته أمام القانون. إذن علينا أن نضع نفسنا مكانه ونجد ما يمكننا فعله ضده.

" أن تقوم برد فعل أسهل وأكثر فعالية بأشواط من أن تبادر بالفعل الأول "

أتى موعد المحاكمة، لا أرى ويليام في القاعة، يوجد فقط أنا، ودانيال، القاضي وشخص آخر. طلب منا الجلوس ثم شرح القضية وبدأ القاضي الفاسد في الدفاع عن نفسه بأكاذيب أكثر عجا أهداها من الآخر. طلبت من دانيال أن لا يقوم بشيء حتى أطلبه منه، واكتفيت بمراقبة القاضي بابتسامة زعزعت كيانه، إلى أن توقف عن الكلام، ثم طلبت من دانيال أن يجيب بروية.

- بعد اذنكم، ما قاله السيد المتهم واضح كوضوح الشمس أنه افتراء وكذب، وهنا بحوزتي دليل ملموس على تلقيه رشوة من طرف السيد ويليام من أجل النطق بحكم البراءة لصالحه، هنا تسجيل فيديو

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لكاميرات المراقبة الخاصة بالمحكمة، يظهر هنا السيد القاضي بزيه وهو يأخذ مالا من قبل المتهم. ولكم حرية الحكم.

أجاب القاضي صارخا: أثبت أن ذلك الشخص هو ويليام؟

فنهضت أنا: لقد رأيتهما في الحضيصة، ودليل تواجدي في الموقف لحظات قبل حدوث الأمر موجود على التسجيل.

اعترف القاضي بفساده وتمت معاقبته بعشر سنوات خلف القضبان وتم نطق الحكم بالسجن لمدة خمس سنوات على ويليام بتهمة العنف ضد امرأة وتكسير ممتلكات خاصة وسرقة ورشوة. انتهى أخيراً تأنيب ضميمري. خرجت لأعود إلى السيارة أنتظر قدوم دانيال الذي خرج في زي البطل محارب الفساد أمام كاميرات القنوات الإخبارية التي تناقلت الخبر بسرعة، ونجح أخيراً في الصعود إلى سيارته والانطلاق بعيداً عن هذا المكان. قام بدعوتي على مشروب احتفالاً بهذا النصر وأصبح يردد "لقد أخبرتك أنه سيكون أعظم حدث، أخبرتك"

أنت حساس جداً . . . تتلقى كل ضربة كأنها القاضية

شربنا أنا ودانيال ثم طلبت منه أن يتصل بـإليزابيث وأن يرتب لي لقاء معها، ففعل ذلك والتقيت بها على جسر وسط مدينة لندن الجميلة، أنت نحوي تتقرب خيراً غير سار

- ماذا يجري هاري؟

- أهلاً إليزابيث، أنا بخير ماذا عنك؟

- أوه آسفة، أهلاً هاري، كيف حالك؟

- هممم...

- أنا بخير شكراً، آسفة حقاً أنا فقط خائفة من أن يأتي خبر حزين الليلة.

- تفاءلي خيراً، فقط للحظة.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

- حسنا.. هل من خبر مفرح؟
- حبيبك السابق في السجن. خمس سنوات لن يرى فيها ضوء الشمس.
- ماذا؟ كيف؟ هذا؟! إنه أمر رائع يا إلهي... كيف فعلت ذلك؟ هاري.
- اهدئي إليزابيث، لقد انتهى الأمر، لا تفكري به مجددا.
- لكن أخبرني..
- قضية فساد فحسب، لقد رأيت القاضي يتلقى رشوة والآن خسر كلاهما الرهان. وأنت خسرت الرهان أيضا.
- عم تتحدث؟
- قلت أنك ستفعلين أي شيء أطلبه إن دخل السجن.
- لا أصدق أنه دخل السجن، لا بد أنك تمزح هاري. هذا ليس مضحكا حقا.
- احبسي دموعك، أنا لا أهرج، ويليام في السجن.
- واو.. ماذا تريد مني إذا؟
- لا أدري ظننتك تمزحين فقط.
- لا أنا جادة، تعال نجلس هناك، لا أستطيع الوقوف بعدما سمعت هذا الخبر، وأطلب مني ما تريد.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- حسناً، بما أنك مستعدة لقلب صفحة الماضي وكتابة قصة جديدة، أريد منك أن تجعل لي جزءاً منها.

- لست متأكدة من فهمي لك.

- أريد أن تصبحي... تعرفين..

- صديقتك؟

- نعم..

- هاري، لا أريد أن أخسرك لكن..

- فقط نعم، أو لا. خير الكلام ما قل ودل.

- حسناً.

- إذا؟

- لقد قلت لك حسناً، نعم، أجل، أوافق، طبعاً.

- لقد فهمت، شكراً لأنك منحتني هذه الفرصة.

- لا تشكرني، قلبي فقط من اختار ذلك، ولقد شعرت بشيء ما تجاهك منذ اللحظات الأولى.

- لست بارعاً في الكلام، لا يمكنني الرد بأحسن من هذا.

- هاهاهاها لا عليك، هل ترافقني إلى المنزل؟

- طبعاً.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

مشينا ببطء نحو منزلها، أمسكت بيدي طوال الطريق، لم أشعر
هكذا من قبل. الفتاة التي ساعدت أبي على البقاء لفترة أطول قليلا،
والتي عانقت أمي عندما بكيت، والتي مسحت دموعها عندما كانت
مجرد زبونة عند صاحب عملي أصبحت الآن مسؤوليتي، و اليوم هي
صديقتي.

ودعتها أمام بيتها وعدت إلى بيتي بدوري، لم أكن نفس الشخص
الذي خرج من المنزل عندما عدت إليه، لم تتغير حياتي فحسب. لقد
تغيرت أنا بالكامل.
عند عودتي للبيت، بدت لي أمي منزوعة، طلبت منها عشرات المرات
أن تشرح لي ما الذي يجري، لكنها كانت ترفض أن تكلمني وتأمروني
بالابتعاد عنها. مرت ثلاثة أيام حتى وصلتني رسالة عبر البريد كتب عليها
"لم يكفي أن فقدت والدك، هل تريد أن نأخذ أمك أيضاً؟ لا تتدخل
فيما لا يعينك، تراجع قبل فوات الأوان!"

ما هذا؟؟؟ من أرسل لي هذه الرسالة؟ هل أمي تعلم بالأمر؟ هل
هي في هذه الحالة بسبب هذه الرسالة؟ علي أن أتحرك.
ذهبت إلى مكتب البريد أسأل عن مرسل تلك الرسالة، كل ما قاله
لي العامل هناك هو أن الرسالة لم تمر بريدنا بل بريد من دولة أخرى...
كيف هذا؟ الطوابع البريدية إنجليزية. كيف فعل ذلك؟ ومن فعل
ذلك؟

حسنا. إن كنت تدخلت في شيء لا يعينني فهو إدخال ويليام
والقاضي السجن.. لكن القضية قضية دانيال، وأنا مساعده..

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

فقضيته تعنيني أيضا. هل لهذا علاقة بإليزابيث؟ عن ماذا يريدني صاحب الرسالة أن أتراجع؟

- مساء الخير أُمي.

- مساء الخير...

- هل أنت بخير؟

- هممم

- كلميني أرجوك.

- دعني وشأني، أنا بخير.

- حسنا.. أحتاج مساعدتك في أمر.

- لاحقاََ ليس الآن.

- لقد هددوني أُمي.

- من؟! من هددك؟

- اقرئي هذه الرسالة، لقد وصلتني صباح اليوم

ما إن قرأت تلك الرسالة حتى بدأت في البكاء وعانقتني

- يا هاري، أعرف من أرسل هذه الرسالة، ذات يوم عندما كنت تعمل

أتى شخصان إلى المنزل، طلبا مني أن لا أقوم بجلب الإنتباه إن أردت

البقاء على قيد الحياة، فدخلوا إلى هنا وكلماني، قالوا لي أنه كان على

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أبيك ديون لهم، المال الذي أتى به لدفع تكاليف دراستك كانوا هم مصدره. لم أرد إخبارك لأنك لطالما أحببت دراستك، وأنه لا يزال هناك مبلغ علينا دفعه الآن. طلبوا مني أيضا أن أبعدك عن دانيال لأنه قد حدد يوم موته بيده، ولا يريدونك أن تتبعه أو أن تتوسط بينهما.

- وأخفيت كل هذا عني يا أمي؟! كيف يعقل هذا؟

- أنا أسفة، لم أستطع إخبارك.

لم أستطع تمالك نفسي، خرجت مسرعا واتصلت بإليزابيث وطلبت منها المجيء إلى البيت والبقاء مع أمي لمدة ساعتين أو ثلاث، وافقت ولم تطرح الكثير من الأسئلة، كانت تعرف أنني لست بخير. ذهبت إلى غابة بجانب مدينتي وتوغلت في أعماقها ثم جلست أسفل شجرة عملاقة وأسندت رأسي إلى جذعها وبدأت أتكلم وأبكي كأن أحدا يسمعي.

"لقد تسببت في مقتل أبي، بسبب أنانيتي مات والدي.. أنا أسف يا أبي! لم أرد إلا جعلكما فخورين بي، وإخراجكما من الفقر الذي أهلكنا نحن الثلاثة... لكنني قمت بعكس كل ما أردت فعله، أردتك أن تعيش حياة مريحة لكنني وضعتك في التراب بيدي هاتين!! هل هذه هي المشاكل التي ستواجهني بعد موتك يا أبي؟! وما ذنبي أنا؟ أردت فقط أن.. ننام سعداء نحن الثلاثة لليلة واحدة فقط..."

وضعت رأسي على أحد الجذور التي كانت بارزة من الأرض وأغلقت عيني كأنني فارقت الحياة. نمت لثلاث ساعات تامة، لولا الهاتف الذي أيقضني لما تحركت من تحت تلك الشجرة، إنها إليزابيث

- حبيبي

- أهلاً، كيف الحال؟

- أين أنت؟ لقد قلقنا عليك.

- أنا قادم، لست بعيداً جداً.

- حسناً سأنتظر قدومك لكي أذهب إلى البيت.

- شكراً على اعتنائك بأمي.

- لا تشكرني، هي بمثابة أمي أيضاً

- أحبك

- وأنا أيضاً.

لم أشعر بكلمة أحبك تخرج من أعماقي لشخص غير والدي مثل
هذه اللحظة. شعور غريب جداً...

عدت إلى البيت وقبلت إيلزابيث التي غادرت بعدما جلست معي
لربع ساعة تقريباً تسألني عما يجري داخل رأسي، لكنني طلبت منها أن
نؤجل هذا الحديث إلى حين.

لم نتكلم كثيراً أنا وأمي، كانت كل جملة يقولها أحداً بمثابة بوابة
نحو عالم آخر من الصمت، ذلك الصمت القاتل الذي تريد أن تكسره
بكل مطارق الكلام، لكن ما الجدوى من الكلام عندما يكون الصمت
سلطان اللحظة؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

قررت إذن الخلود للنوم والأسئلة تغرق بالي، وتأنيب الضمير يمزق قلبي، فبعد كل شيء.. لقد شاركت في مقتل أبي، وقد أشارك في مقتل أمي أيضاً... سأصاب بالجنون.

في اليوم الموالي ذهبت إلى المكتب، ليس للعمل، بل لإخبار دانيال ببعض الأمور.

- صباح الخير دانيال.

- أهلاً صديقي، كيف حالك؟

- بخير، علينا أن نتكلم في أمر في غاية الأهمية.

- ماذا يجري؟

- لا يمكنني مواصلة العمل لديك، هناك مشاكل كبيرة على عاتقي ولن

أجلب لك إلا المتاعب إن واصلت العمل هنا.

- أنا لا أفهمك.. ما الذي جرى؟

- لقد كلمني ويليام وهو يقول أنه سيقتلنا جميعاً، أنت في خطر، وأنا

في خطر، كلنا في خطر.

- هراء!

- لقد أخبرتك، آسف دانيال، لقد كان العمل معك من أحب الأشياء

إلى قلبي، أتمنى لك التوفيق. وداعاً صديقي.

- وداعاً.. قم بزيارتي من حين لآخر..

أصبحت بلا قيود الآن، وبلا أهداف أيضاً... تركت قلبي يقودني نحو رائحة القهوة التي تنبعث من طرف الشارع، جلست في مقهى السيد لورانس، طلبت قهوة فأتى بها السيد لورانس ثم جلس أمامي.

- كيف حالك بني؟

- أنا بخير، ماذا عنك عبي لورانس؟

- مريض قليلاً لكني بخير. لم تأت إلى هنا منذ مدة.

- أعرف أنا آسف لكن الحياة كانت صعبة قليلاً مؤخراً...

- إن احتجت إلى أي شيء أنا هنا.

- شكراً لك.. ألم تجد عاملاً آخر مكاني؟

- لسوء الحظ لا، لم أجد شخصاً مثلك، كنت أعين شباباً لكنهم لا يصمدون لأكثر من أسبوع، ها أنا أعمل وحدي مجدداً، تماماً مثل أيام شبابي.

- هل يمكنني العودة إلى العمل؟

- هل تركت عملك عند المحامي؟

- نعم لقد حدثت مشاكل وفضلت أن أتركه، أظن أنني أكثر براعة مع آلة القهوة والكؤوس مني مع الأوراق والمستندات.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- طبعاً، كما قلت لك، يمكنك العودة متى شئت.

- آسف على تركك لوحذك سيد لورانس.

- لا عليك بني.

ارتديت مئزر العمل خاصتي، لا أنكر أنني افتقدته بعد كل شيء.
وبدأت في تحضير الشاي وفي إعادة تنظيم مساحة عملي كما كانت
عندما بدأت العمل أول مرة في المكان. تعرضت لـ"تسونامي" زبائن هذا
اليوم.

عدت إلى البيت بعد يوم قد يكون أجمل يوم مر علي منذ مدة،
نمت أخيراً نوما يستحق اسمه بعد أيام من الصراعات داخل فراشي.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

تحسنت صحة أمي كثيراً، أصبحت إليزابيث وأمي قريبتين جداً، وأصبحت تمضي بعضاً من وقتها معها تساعدتها في أعمال البيت، تخرجان معا في المدينة أيضاً، لقد أصبحت فرداً من الأسرة الآن. حكّت لها أمي بعض الأشياء التي مضت قبل أسابيع، فاتصلت بي بعدما أنهيت عملي يوم الأحد واقترحت علي أن نذهب إلى مكان هادئ فقط أنا وهي، وكانت الفرصة ملائمة بما أن المدينة شبه فارغة يوم الأحد، خاصة عندما يجتمع الناس في الكنائس.

ذهبنا إلى الحي القديم، أين توجد عمارات سيقومون بهدمها بعد أسبوعين، جلسنا فوق أعلى سطوحها، قد تكون هذه أعلى نقطة في المدينة بأكملها، وضعت رأسها على كتفي

- هاري؟

- نعم؟

- هل تؤمن بالقدر؟

- ليس حقاً.. لا، ماذا عنك؟

- نعم، إيماناً مبالغاً فيه.

- كيف اقتنعت بذلك؟

- وهل يجب الاقتناع للإيمان؟

- طبعاً، فإن لم تكن مقتنعاً بوجود شيء ما فلا يمكن أن تقول أنك تؤمنين به.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- ليس في هذه النقطة، كل شيء مكتوب وحسب، لا مجال للقناعة هنا. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها.

- لن أنكر حقيقتك، نعم كل شيء مكتوب، كل شيء مضى مكتوب، وما سيحدث مستقبلاً سيكتب في أوانه، والآن فنحن نحمل أقلامنا ونكتب أقدارنا بأيدينا. أظن أن فكرة أن الإنسان غير مخير عذر اختلقه الفاشلون، الذين لم يستطيعوا كتابة قصصهم كما يريدونها، فأعطوا الحياة أقلامهم واختبئوا وراء قناع القدر.

- يعجبني تفكيرك..

- لقد ذهبت بعيداً هاهاها..

- أريد أن أطلب منك شيئاً لكن لا ترفض أرجوك.

- لا أستطيع رفض طلباتك حبيبتي .

- لقد قالت لي أمك أنه عليك ديون كثيرة، هل هذا صحيح؟

- نوعاً ما.

- ما المبلغ الذي ينقصك؟

- لماذا تسألين؟

- دعني أساعدك في تسديد المبلغ أرجوك.

- لا، لا يمكنني القبول إليزا.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- لقد تعهدت أن أساعدك في الخروج من أزمته كما أخرجتني من أزماتي الكثيرة. وهذا أقل شيء أفعله. إذن خذ هذا المبلغ سدده به ديونك واحظ بانطلاقة جديدة.

- لا أدري ما أقوله... شكراً لك عزيزتي، لا يمكنني أن أعبرك عن مدى إمتناني لك.

- هذا عادي جداً لا تقل شيئاً. أحبك

- وأنا أيضاً.

عانقتها ولم أستطع تمالك دموعي التي غرقت بين أمواج شعرها الأشقر الناعم. ثم واصلنا حديثنا وكلامنا حتى غربت الشمس.

أربعون ألف جنيه، لمن سادف هذا المبلغ؟ أمي تقول أنه سيأتي الشخصان الليلة لأخذ المال، وفعلاً أتى شخصان يظهران مألوفان لي، أخذوا المال ثم انصرفا كأننا قمنا بمعاملة تجارية عادية. كنت أريد أن أفرغ صندوقي الخشبي لدفع قسط من المبلغ وأطلب مهلة أخرى لجمع المال لكن إليزابيث دفعتهما كلها... تبا لي ولفقري. لا أستطيع إسعادها.. لن أتمكن من ذلك.

الأسبوع القادم، أول يوم من سبتمبر، عيد ميلاد إليزابيث، ولا أجد ما أسعدها به.. علي أن أفكر في هدية عظيمة بعظمة حي لها. لكن ما الشيء المادي الذي يضاهي عشقي لهذا الكائن الجميل؟ أعرف!! ركضت نحو ركن الغرفة وأخرجت صندوقي الخشبي، أفرغت

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

محتواه على الأرض ثم أرجعت صورتى مع أبي وأمي إلى مكانها، ثم بعض الذكريات، وأبقيت كل المال أرضاً، وصرخت "أمي! أنا ذاهب إلى المدينة، هل تحتاجين شيئاً؟" أطلت علي من طرف الباب تبتسم "ولم هذا المال؟" أخبرتها بما أنوي فعله فابتسمت وأخبرتني بخطة لكي أفاجئها بالهدية. فجمعت المال وقمت بحسابه ثم ذهبت إلى المدينة أبحث عن الماسة النادرة، تلك الماسة التي ستوقد فيها احساساً جديداً. كان علي أولاً أن أستذكر معارفي حول الأمور وكل ما أخبرتني به إليزابيث حول هذا الشيء. التسميات المعقدة والأنواع والألوان لا تنتهي، علي أن أركز لأخذ أحسنهم، وأقربهم إلى ميزانيتي التي لم تكن بالعظيمة. خمسمائة وبضع جنيهات لتسجيل هدف حاسم في الوقت القاتل من المباراة، المباراة التي قد تحسم نتيجة موسم كامل. اشتريت هديتها ووضعتها داخل صندوق الخشب الصغير وبقيت في انتظار عيد ميلادها كأنه عيد ميلادي أنا. لا أطيق الصبر حتى أرى ردة فعلها عندما ترى أنني أعدت إحياء جزء أقسمت أنه قد مات منها.

الجمعة، أول يوم من شهر سبتمبر، استيقظت باكراً بالرغم من عدم عملي بالمقهى، جهزت نفسي ثم خرجت حاملاً كيساً ورقياً أزرق به هدية إليزابيث، هي تعشق اللون الأزرق. ظهر بيت إليزا من بعيد ورأيت شخصاً يخرج من البيت مسرعاً.

اتصلت بها لأستلها إن كانت تريد أن نتقابل وأعطيها موعداً في مكان بعيد قليلاً عن منزلها، لكنني كنت أمام البيت أنتظر خروجها. خرجت فوجدتني أمام الباب، كان أول رد فعل لها القفز بين ذراعي

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

وتقبيلي، أعطيتها هديتها ورأيت عيناها تلمعان عندما فتحت الكيس فوجدت ما لم تكن تنتظر. وردة زرقاء نسيت اسمها إلى جانب علبة زرقاء كذلك، نظرت إلي بابتسامة وأشرت لها أن تفتح العلبة. صرخت كالطفلة عندما وجدتها كاميرا كالتى وجدناها في المتحف وظلت واقفة تتأملها لمدة نصف ساعة وتحديثي عن مزاياها وأشياء لم أستطع تذكرها. لقد كسبت الرهان.

لن تمنع الناس من الكلام أبداً

غريب كيف يهتم الإنسان بنفسه بمجرد معرفته أن هنالك شخص ما يفكر فيه في مكان ما على هذا الكوكب، حتى لو كان ذلك الشخص مزيفاً، أو كاذباً. لكن رغم الكذب والخداع إلا أن الاهتمام يبقى اهتماماً ولا يختلف عن الاهتمام الطبيعي الغير مصطنع في شيء إلا أن الاهتمام المفتعل طبيعياً يدوم ولا يفنى حتى بعد الممات، أما التظاهر بالاهتمام فهو غير ثابت، الحقيقة تصعد إلى السطح مهما حاولنا إغراقها بالكذب، مهما أخفيناها بأفئدة العناق والقبل.

بدأت في اكتساب بعض الوزن بفضل منصف الذي شجعني على الانضمام إليه في قاعة رياضية يسيرها عمه، فاكتمل تغيير حياتي إلى تغيير جذري، حتى جسي تغير الآن، لم أعد هاري النحيف الحزين الذي اعتدت على أن أكون. أصبحت لي معارف أكثر من ذي قبل، أصدقاء جدد بفضل قاعة الرياضة، وعملي الذي عدت إليه في المقهى، لقد رحلت عنه لكي أعود إليه أقوى وليصبح المكان أجمل وأنسب. وطبعاً بكل صديق جديد صنعت أعداء، لم يكونوا أكثر من مجهولين بالنسبة لي فيما قبل، لكن رؤيتهم لي مع تلك الفتاة التي حاول التقرب منها أكثر من شخص أشعل في بعضهم غيرة أو شيئاً من ذلك، دون

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

الخوض في تفاصيل تافهة كالسؤال الذي سمعته مليون مرة "كيف لها أن تكون مع شخص أصغر منها سناً؟" وماذا بعد؟ لا أبه لما يقوله الناس لأنني تعودت أصلاً على ذلك منذ طفولتي كنت الأصغر سناً أينما ذهبت.

قمت أيضاً بإقناع أمي بأن ترفع دعوى ضد أولئك الذين قاموا بما قاموا في حق والدي، لم يكن الأمر سهلاً فأُمي مقتنعة أن لا شيء يمكنه تعويض أبي أو جعله يعود إلينا، لكنني تكلمت من جعلها تفهم أن ضميري لن يرتاح إلا بعد معاقبة هؤلاء الوحوش بالمال الذي سدد به أبي مصاريف دراستي وأصبحت محامياً بفضله. ستقوم أمي بتوكيل محام آخر لكنني سأعمل إلى جانبه وتكون الغلبة لي، لنا جميعاً.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

غدا أول يوم من عامي الجديد عزمنا أن نذهب معا إلى الجامعة بما أن كلية الحقوق وكلية الفنون ليستا بعيدتين عن بعض، الكل ينظر إلينا بغرابة كالعادة، لكن هذا لم يعد يزعجنا، فالعالم يختفي من حولي عندما أكون بالقرب من تلك الفتاة.

ابتسمت لي الحياة أخيرا، لكن هل هذه ابتسامة مزيفة؟ أمل أن شعوري هذا كاذب.

مرت الايام والأسابيع والأشهر هكذا، حياة هادئة جميلة رغم أنوف الحاقدين، ذات يوم أتت إلي فتاة تقول أنها كانت صديقة إليزابيث المقربة سابقا، طلبت مني أن أنتظرها بعد نهاية الدرس، يوم الثلاثاء، في اليوم الذي لم تدرس إليزابيث.

- أهلا هاري، أنا جينيوفر.

- سررت بمعرفتك.

- وأنا كذلك، آسفة على إزعاجك لكني رأيتك أكثر من مرة مع إليزابيث، هل أنتما معا؟

- نعم نحن معا، هل هناك مشكل مع ذلك؟

- لا أعرف كيف سأقول لك ذلك، لكن إليزابيث ليست كما تظنها، لديها أسرار لا أحد يعرف بشأنها غيري، وأنصحك بأخذ وقتك وأن لا تكون لعبة بين أيديها.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- هل هذا كل ما أردت قوله لي؟ حتى لو كنت محقة.. لقد تأخرت كثيرا..
لقد فات الأوان...

- أعرف أنك تعلقت بها كثيرا في وقت قصير جدا وهنا تكمن قوة
إليزابيث، لكن فكر للحظة فيما قلته لك وافعل ما تراه صوابا.
- أظن أن الصواب الآن هو أن أودعك لأنني متعب قليلا.
- كما تريد، عمت مساءً.

عدت إلى البيت وكلمات هذه الفتاة تدور في رأسي كأغنية سمعتها
آلاف المرات وأصبحت عاجزا على التوقف عن ترديدها. جلست أتكلم
مع أمي لكي أنسى الأمر، تحدثنا حول أبي، لأول مرة فتحت معها
الموضوع ووجدتها جاهزة للكلام، حدثتني عن عدة أشياء كانت غامضة
بالنسبة لي، وضعت أمي النقاط على الحروف وأصبح كل شيء واضحا،
أنا أعرف ما الذي ينتظرني في القريب العاجل من متاعب، كاحتياط
بسيط، قمت بكتابة كل ما خطر في بالي من متاعب على ورقة وكلمها
اجتزت مشكلة، قمت بتقطيع جزء من الورقة وحرقتها، كانت مشاكل
صغيرة على العموم، لكن تراكمها جعلها تبدو كجبال هائلة.
لكني لن أعيش بين الحفر، سأتسلقها جبلا بعد آخر حتى أصل
القمة. والقمة الآن هي الانتقام لغدر أبي.

بضعة أيام لاحقا، اتصلت بي إليزابيث لتخبرني أنها وحيدة في المنزل
ليومين ولا تشعر أنها بخير، أخبرت أمي وطلبت منها إن كان من الممكن
دعوتها لتمضي اليومين معنا، فاقترحت أن أذهب أنا إلى بيتها بما أن
خالتي وبناتها قادمات إلى لندن اليوم. لم أرفض الفكرة.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

ذهبت إلى بيت إليزابيث بعدما أتت خالتي وبناتها، كانت تلك أول مرة أدخل فيها منزلا بذلك الجمال والاتساع، وما زاد المكان جمالا هو وجودها أمامي، تعانقنا ثم دعنتني إلى قهوة في المطبخ.

- أردت أن أقول لك شيئا لكن لم تتاح لي الفرصة.

- ماذا هناك عزيزي؟

- جينيفر صديقتك..

- ماذا عنها؟! هل تعرفها؟

- دعيني أكمل كلامي، لقد أتت إلي تقول لي أنك تخبئين أسراراً لن أعرفها أبداً.

- ماذا تريد مني هذه؟! إنها حياتي! ما دخلها..

- هل يمكن أن أعرف ماذا تخبئين عني؟

- سأخبرك يوماً ما.

- لم لا تخبريني الآن؟ ما المانع؟

- لا أستطيع.

- حسناً.. كما تريد.

- هل تعلم أنني أحبك؟ تعال هنا!

- وأنا أيضاً أيتها الشقراء.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

واصلنا تلك السهرة هكذا، شربنا معا، رقصنا، ضحكنا، ثم
شاهدنا فيلمها المفضل ونمنا أمام التلفاز.

لم أذكر شيئا مما حدث بالأمس حتما بسبب الكحول.

- استيقظ أيها الغبي.

- من أنت؟

- أنا من ستقتلك يا أحمق.

- توقفي عن مناداتي هكذا، كان بإمكانك مناداتي باللقاب أجمل
- هل نمت جيدا أحمقي المفضل؟

- هذا ليس أحسن من أحمق، تافهة. نعم نمت جيدا، ماذا عنك؟

- كانت امسية رائعة.

- أظن ذلك. لا أذكر الكثير.

- لا يجب أن تتذكر ما حدث لكي تعرف إن كانت كذلك. ستشعر بذلك.

- طبعاً، أنا أشعر بشيء قد تغير لكن لا أدري ماذا.

- ماذا سنفعل اليوم؟

- لا أعرف.. لا أرغب في مغادرة سريرى اليوم، ولن تغادره أنت أيضا.

- ولم قد أستمع لك؟

- لأنك ملك لي.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

- وأنت ملك لي، إذن ستطيعيني!
- وانا لست موافقة!!
- هذه مشكلتك.
- حسنا أنا ملك لك، كلي لك يا غبي.
- لم يكن ذلك صعبا.
- لقد استوليت على ما هو أغلى من كل هذا قبل أن تمتلكني وتملك جسدي.
- ماذا؟
- لقد امتلكت روحي هاري.
- وهذه أضرار الكحول، من أين أتيت بهذه الرومنسية المفاجأة؟
- إنه الكحول.
- كم أنت جميلة.
- أمل أنه ليس الكحول بالنسبة لك.
- طبعاً لا، الكحول أعطاني فقط الشجاعة الكافية لقول ما أردت قوله.

أمضيت يومين معها ثم عدت إلى البيت أين وجدت أمي وخالتي وابنتها مجتمعات يضحكن ويتكلمن بصوت عال. سلمت عليهن

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

وخرجت أتجول في شوارع لندن. لم لا أقوم بزيارة منصف في معمله؟
كان الباب شبه مقفل، لكنني معتاد على الدخول في أي وقت،
وجدته مرميا على الأرض يتكلم بصوت خافت، لم أفهم ما الذي
يحدث، رأيته بعد ذلك يجلس وهو يتكلم ثم انتهى مما كان يفعل.

- أهلا منصف.

- كيف حالك أخي؟

- بخير، كيف حالك أنت؟!

- بخير دائما.

- ماذا كنت تفعل؟ قبل قليل؟

- لقد كنت أصلي وأدعوا الله، أهمس في الأرض فيسمعني من فوق
السموات.

- يبدو ذلك رائعا. وهل تستشعر وجوده؟
- طبعاً، والدليل أمامك، الراحة النفسية التي أتمتع بها بفضل صلواتي
الخمس.

- هل يمكنك أن تعلمني كيف أصلي؟

- طبعاً أخي.

هكذا علمني منصف كيف أصلي، أصبح يحدثني حول الإسلام في
أغلب الأحيان. أما أنا، فأعتقد أن إيماني لن يصل أبدا للدرجة التي
بلغها هو، لكن ضعفي لم يمنعني من الصلاة من وقت لآخر، إخبار

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

ذات إلهية عليا أقوى من كل المخلوقات بكل ما يدور في بالي دون أن أخاف أن تفضي أسراري، لكن بقناعة أن هناك من يستمع إلي وسيرشدني إلى طريقي، الطريق التي رسمها لي القدر. شكراً منصف، لقد أنقذتني مرة أخرى.

- هل أنت بخير هاري؟

- نعم أنا بخير.

- هل انت متأكد؟

- لا أعرف.. غدا سترفع أمني تلك القضية ضد ويليام وعصابتة. وأنا لا أريد تعريضها للخطر.

- أظن أن أمك تريد الأمر الذي تريده أنت، في أعماق ذاتها، وهي لا تمنع تعريض نفسها للخطر من أجلكم.

- لكنها أخبرتني أنه لا يمكن لشيء تعويضها أو التخفيف عنها.
- كل شيء سيكون على ما يرام أخي، أخبرني.. كيف ستجري الأمور حسبكما؟

- سأتصل بأحد صديقات اليزابيث، قالت لي أنها محامية متمكنة، سأعمل معها إلى جانب والدتي بما أنه لا يمكن توكيلي على أمني.
- هاري لا تسئ فهبي، ولكني أظنها فكرة سيئة أن توكل صديقة إيزابيث.

- لا يوجد حل آخر، إن وكلت محاميا آخر فأنا لست متأكدا إن كانت له علاقة بتلك العصابة، لديهم أعضاء في كل مكان..

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان
- أنا أفهم الأمر، كن حذرا أخي.

لم أستمع لنصيحة منصف وتكلمت مع إليزابيث في الأمر، وقدمت لي الفتاة بعدما طلبت مني مهلة لكي تفكر في الأمر. لا أعتقد أن الأمر يحتاج التفكير خاصة من طرفها، لكني سعيد الآن يمكننا البدء في اللعب.

كايت، ثلاثون سنة، محامية. فازت في كل القضايا التي وكلت لها، تقول إليزابيث أنها ورقتنا الرابعة.

بعد الانطلاق في رحلتنا الطويلة المليئة بالغموض، بدأت أستذكر ما قاله لي منصف، وبدأت في التشكيك في صحة قراري، لكن أُمي بدأت في كسب الثقة، تلك الثقة التي فقدتها أنا للتو. سادع الأمور تجري كما تريد، في الأخير يبقى ذلك أفضل مهرب للإنسان، أن يترك المياه تذهب به أينما شئت، وهذا ما أقوم به كلما راودني شك فيما يخص أُمرا ما.

أصبحنا أنا وأُمي وكايت نلتقي كثيرا، قصصت عليها ما حدث مع العصابة، وكذلك ما قاموا به بعد وفاة أبي، بدت كأنها تعرف ما يجب فعله، وضعنا خطة عمل معا، لم نتفق على كل شيء لكن أُمي طلبت مني أن أتبع ما تقوله كايت بحجة الخبرة. لقد طلبت كايت منا إخفاء بعض الأدلة التي قد تنهي المعركة في صالحنا منذ البداية، الأمر الذي أثار حيرتي بغرابته. لكن أوامر أُمي لا نقاش فيها. رفعت أُمي القضية

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

وتم استدعاء المتهمين وطلبت مني المحامية أخذ بعض الوقت للاهتمام
بنفسي وبإليزابيث. من الواضح أن كايت لا تثق بي، لكن لماذا؟
حاولت الإصرار على الدخول لكن أمي رفضت وأصبحت تطبق
أقوال تلك الفتاة حرفياً. لم أرها هكذا أبداً. ربما تعطشها للانتقام
فعل بها هذا؟ أو ربما فقط لأنها لا تعرف ما يجب فعله إذن هي تستنير
بخبرة كايت.

سأتبع وصية كايت أنا الآخر وأذهب لرؤية إليزابيث.

اللكمة ستؤلمك رغم عضلاتك

اكتملت أخيراً سعادتي، القدر ابتسم لهاري بعد عناء كبير وصبر طويل، أصبحت محامياً كما خطط لي والدي وكما رغبت منذ مدة، لي منزلي الخاص، أمي فخورة بي، وأراهن على أن أبي فخور كذلك بي من هناك في السماء. لكنني لن أنسى من أين أتيت، ولن أنسى الطريق الذي قطعته، ولن أنسى كل من ساعدني على الوصول إلى أهدي، أمي، أبي، منصف، السيد لورانس، إليزابيث، دانيال، وبدرجة أقل... كايت...

لم أتصل بعبي لورانس منذ مدة، لحسن الحظ لدي رقم هاتف المقهى محفورا في ذاكرتي، اتصلت بالرقم على أمل سماع صوته من جديد لكن ردت علي امرأة، هنا تباطأت دقات قلبي، لا يمكن أن يكون ذلك!!

- ألو؟

- آسف على الازعاج سيدتي، أبحث عن السيد لورانس.

- أظن أنك شكلت الرقم الخطأ سيدي.

- لا، غير ممكن، هذا هو الرقم الصحيح.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- إذن ربما يكون قد تم تغيير رقمه، لأن خطي جديد.

- مؤكد، آسف على الازعاج.

- لا مشكلة.

أغلقت الهاتف وأطلقت زفير راحة مؤقتة، علي أن أذهب إلى المقهى لكي أرتاح نفسيا. جهزت نفسي وأخبرت أمي أنني سأذهب لرؤيته وأني سأدعوه للإفطار معنا.

وأنا أمشي في شوارع لندن أستحضر ذكريات الماضي الميرير وأشكر الله على ما جرى، وعلى ما يجري الآن، استوقفتني جرو صغير أسود اللون قام بعض أسفل سروالي وبدأ يلعب رجلي. انحنيت لألاعبه حتى سمعت صفيرا وإذا بالجرو يذهب بسرعة نحو ذلك الشخص، عجوز متشرد في حالة يرثى لها، هذا الوجه يبدو لي مألوفا... لا يهم، ما زال أمامي ثلاث شوارع لأصل إلى المقهى، المكان الذي تعلمت فيه معنى الحياة، عالمي الخيالي بنيته بين أحضان هذا المقهى، الحنين يجعل خطاي أسرع فأسرع، رائحة القهوة التي كنت أحضرها تداعب أنفي، تتصاعد الدموع إلى عيني.

كارثة!! لقد تم هدم المقهى... كيف حدث ذلك؟ لماذا؟ متى؟ لماذا لم أسمع بالخبر؟ أين السيد لورانس؟ أسئلة تحتاج إلى أجوبة بقدر حاجة الطفل لأمه، لكنها ستبقى بلا يتيمة أجوبة.

ذهبت أسأل المحلات المجاورة للمقهى لكن الإجابة كانت نفسها. حدث ذلك منذ شهرين تقريبا، ولا أحد يعرف لماذا ولا أين ذهب

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أو ماذا حل بالسيد لورانس. سيتم بناء وكالة لبيع السيارات مكان المقهى... جزء مني تحطم عندما سمعت كل هذا، لا يمكنني أن أصف شعوري في هذه اللحظة بالتحديد، أنا حزين لأن المكان لم يعد له وجود، أنا حزين لفراق السيد لورانس، بل ألوم نفسي لأنني لم أقم بزيارته منذ عام تقريبا...

لحظة!!! هل يعقل ذلك؟! لا يمكن أن يكون إلا هو! كيف لم أعرف عليه؟ تبا لي كم أنا أحمق.

عدت مسرعا إلى المتشرد الذي وجدته قبل قليل، ذلك الوجه المألوف هو السيد لورانس، لقد تغير قليلا بسبب متاعب الحياة، وبسبب بقائه في الشارع لأسابيع.

- عمي لورانس؟

- ماذا تريد مني؟ لم يعد لي شيء لتأخذه مني، اغرب عني.

- اهدأ أرجوك، هذا أنا، هاري.

- هاري؟ اووه هاري بني! أنا آسف. لم أعرف عليك. لقد كبرت، أنت اليوم شخص آخر، أين كنت كل هذا الوقت؟

- أنا آسف عمي... لقد أنستني الحياة وأتعبها كل ما هو مهم بالنسبة لي. لقد اشتقت إليك.. أنا آسف حقا..

- لا عليك، لا تبكي.. اشتقت لك أيضا.

- تعال معي إلى البيت، تبدو في حال سيئة.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- لا، لقد اعتدت على هذه الحياة بني، لا تكلف نفسك.

- لا نقاش في الأمر، أرجوك تعال معي.

- ماذا عن الكلب؟

- سيأتي أيضا هاها.

أخذته وعدنا إلى منزلي، قام بالاستحمام ثم أعطيته بعض الثياب الدافئة واجتمعنا للأكل مع أمي. تكلمنا كثيرا، والندم على تقصيري في حقه لم يفارقني أبدا، كيف لي أن أترك أبي الثاني يعيش حياة كتلك وأنا أنعم بالدفء والهدوء.

قص علينا السيد لورانس ما حدث له منذ آخر مرة عملت فيها عنده. لم تمر ساعة دون أن أحتضنه وأبكي كالطفل الصغير. لن يبقى السيد لورانس في هذه الحالة بعد اليوم، لن يفارق هذا البيت ولولزم أن أنام أنا في الخارج. اتصلت بطبيبي لكي يقوم بفحصه ووصف له بعض الأدوية الخفيفة. على حد تعبيره، من الطبيعي أن يمرض شخص مسن في وضعية كهذه.

في الغد استيقظت وأول ما قمت به هو الذهاب إلى الغرفة التي نام بها عمي لورانس، فارغة. ربما استيقظ قبلي وهو يأخذ فطور الصباح، لا أثر له في المطبخ أيضا. سألت أمي فقالت لي أنه غادر في ساعة مبكرة وترك ورقة فوق فراشه كتب عليها "شكراً، لكني لا أريد أن أكون عالة على شخص." أضافت أمي أن لورانس شخص يتميز بعزة نفس وأنه لا يتحمل أن

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

يطعمه أو أن يعتني به أحدهم. وأنه من الأفضل تركه على حاله أو مساعدته ببعض المال فقط.

خرجت بعد مدة أبحث عنه فوجدته في نفس المكان الذي كان فيه بالأمس، فجلست إلى جانبه وتحدثنا، قال لي ما قالتة أُمي تماما، لكنه لم يذكر موضوع المال، أخرجت من جيبي بعض الأوراق النقدية وأعطيتها له رغم رفضه المتكرر، ثم أخبرته أن منزلي هو منزله وأنه يمكنه المجيء متى ما شاء، ثم انصرفت إلى البيت وارتميت على فراشي أفكر، ماذا أفعل الآن؟ لقد كنت سعيدا، ما الضرر في ذلك؟ لماذا يجب على هذا القلب أن ينبض بألم في كل مرة؟ أما أن لي أن أرتاح؟ ألا أستحق أن أعيش في سعادة دون أن تفسدها الحياة؟ تلقيت لكمة تحديدا في وسط وجهي عندما بدأت في الابتسام بصدق.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أما قضية أُمي، فأصبحت بعيدا كل البعد عنها، لا لأني لم أعد أهتم، بل لأن كايت تريد العمل لوحدها، أتفهم ذلك لكني سأساعدها بقدر ملحوظ إن تركتني أفعل، لكنها تواصل إبعادي عن القضية، وأُمي كالعادة تفعل كما تريد كايت.

بعد غروب الشمس، وأُمي تحدث دائما كايت على الهاتف، أخذتني وحدتي إلى أزقة لندن قاصدا بيت إليزابيث لكي أدعوها إلى العشاء في مكان ما، لكني لم أتصل بها مسبقا. بدأت الأمطار في الهطول بنعومة على بلدتنا الجميلة، تماما كالجو الذي تحبه إليزا. من كان يقول أنني سألتقى لكميتين في آن واحد؟ وجدت إليزابيث في الجانب الآخر من الشارع، مع رجل آخر، تقوم بأخذ صور له بواسطة الكاميرا التي أهديتها إياها، ثم تضحك وتقوم بتقبيله. تلك اللقطة أصمتني، شلّني، وصدمتني... نعم صدمتني، تماما كما صدمتني تلك السيارة أمام أعينهما.

لم تكن صدمة السيارة أقوى مما رأيته للتو، نزل صاحب السيارة ليطمئن علي لكني طلبت منه مواصلة طريقه وأنها غلطتي. أتت إليزابيث مسرعة إلي وانصرف ذلك الشخص.

- هاري!! هل أنت بخير؟ تحدث إلي ... أرجوك.

- ماذا تريد أن أقول لك؟

- أنا آسفة.. لم يكن ذلك في الحسبان.. كل شيء خرج عن السيطرة.

- عم تتحدثين؟
- ذلك الشخص هو ابن خالتي فقط، ونحن قريبان جدا.. لم أتعمد فعل ذلك حقا.
- ولماذا غادر إذا؟
- لا أدري.. ربما لديه شيء ما لفعله.
- سأعود إلى البيت.
- دعني أقلق بالسيارة، تبدو غير قادر على المشي.
- سأتدبر أمري، عودي إلى بيتك.

عدت أدراجي وأنا تائه بين شعور الخذلان والأسى، والرغبة الخانقة في الصراخ بأعلى صوتي. لكن ظاهري صمت ودموع فقط. دخلت غرفتي وأغلقت الباب وغرقت في دموعي وسط الغرفة. تذكرت الصلاة التي علمني منصف إياها.. سجدت وبدأت في الحديث.

"لقد كان كل هذا كذبة منذ البداية... لكن لماذا حصل كل هذا لي؟ التقيتها صدفة، وكلمتها صدفة كذلك، وأحببتها صدفة أيضا... لم يكن أي شيء في حساباتي، هل كل هذا مقدر؟ أم مدبر؟ أرشدني يا إلهي"

نمت على الأرض دون عشاء ولا غطاء، فرصة لتذكر السيد لورانس الذي أصبح يفضل العيش في العراء على أن يعيش بقريي. في اليوم

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

الموالي استيقظت وبين عيناى رغبة وحيدة، الفوز برضى أمى ومساعدتها رغما عن كايت فى الفوز بالقضية. تدخلت لخلط أوراق كايت، وكذلك لمعرفة المزيد حول إليزابيث، لكن دون جدوى، كأن عمل كايت يتمثل فى تشجيعى على فعل المزيد من أجل إليزابيث، وإبعادى عن قضية أمى. تبا، منصف كان محقا... ما العمل الآن؟

حاولت أن أكلم أمى وأن أشرح لها الوضع، لكنها رفضت الحديث عليها إطلاقا، وقالت أنها تقوم بعملها فى أحسن وجه وأنه لا يمكنى تقديم أحسن مما تقدمه هى، كسرتنى أمى بهذه الجملة. لن أحاول مجددا. نلتقى يوم الجلسة!

وضعت خطة عملى لوحدي وسأقوم بما يجب القيام به كما يحلو لى، قد يعرف السيد لورانس ما العمل، ذهبت إلى مكانه المعتاد لكنى لم أجده، ليس لى وقت لهذا الهراء! ليس الآن. لا يمكنى البحث عنه الآن، كأنه يقول لى أن أعتمد على نفسى... لك ذلك عى لورانس.

عدت إلى البيت وأغلقت غرفتى، أخرجت كل الأوراق والصور وكل ما يمكنى استعماله ضد العصابة، تماما كما كان يفعل دانيال عندما تواجهه قضية معقدة، سترين يا أمى، تلك الفتاة ليست أحسن منى... سأستعمل كل ما أرادت منى كايت إخفاءه، ربما المفتاح يختبئ بين هذه الأوراق.

اتصلت بى إليزابيث، ماذا تريد منى الآن؟

- تكلمي وأوجزي.
- لماذا تتحدث معي هكذا؟
- لماذا تظنين أنني أحمق؟
- لم أقل هذا أبدا.. أرجوك لقد كان ذلك خطأ.
- أعرف أنه كان خطأ... كان الأمر خطئي أنا.
- إذن؟ هل سنبقى كما كنا؟
- أتركيني لوحدي بضع الوقت، لدي عمل مهم مع كايت.
- ليس لديك أي عمل معها أعرف ذلك. هل يمكننا أن نلتقي؟
- هل كايت تخبرك بكل شيء؟
- عم تتحدث؟
- لا شيء.. سأصل بك إن أردت رؤيتك. وداعا.
- أغلقت هاتفي ورميته في ركن من أركان غرفتي. لم تصبح القضية مسألة قانون الآن، الأمر لا يتعلق بحياتي الشخصية ولا بالدعوى القضائية ولا أي شيء ذكرته حتى الآن. لقد أصبح الأمر أشبه بلعبة، بل هو كذلك.
- علي فك لغز العلاقة بين أمي وكايت، وبين إليزابيث وذلك الشخص، وعلي قبل كل شيء أن أركز على واجبي المقدس، استرجاع شيء من حقي الذي سلب، لا أستطيع تحمل كل هذا الضغط.. حتى

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

دانيال غير موجود لمساعدتي، لقد ارتحل إلى الجنوب أين القضايا أكثر تعقيدا وأكثر غموضا، لم أجد شخصا أشغف بعمله من دانيال، ربما لو اتصلت به سيقوم بتوضيح الطريق لي.

أجاب من أول رنة، تكلمنا لمدة ثلاث ساعات مرت كأنها ثلاث دقائق، قص علي قصصا مجنونة تكاد تلامس الخيال لكنها جرت في قضايا قام بحلها، لكنه قال أن قضيتي بها ثغرات وشوائب كثيرة، قال لي كلمة بقت محفورة بين عينايا: أحيانا يكون عدوك أقرب إليك من نفسك.

علينا إذن القيام بثلاثة أمور أساسية:

أولا وضع كل شخص لديه علاقة بالقضية على ورقة وربط كل الأشخاص ببعضهم حتى بالطرق الأتفه الممكنة، ثانيا استرجاع ثقة أمي، وإن تعذر ذلك فسيستوجب علي الدخول لمقاطعة المحاكمة ولعب ورقتي الأخيرة آملا أن تصمت كايت وتدعني أنني ما بدأته. ثالثا وأخيرا إنهاء علاقتي بإليزابيث، العلاقة معها كانت أعمق من اللازم، علاقة سامة استهلكت وقتي وطاقتي ومالي، أعرف اليوم أنها تكذب علي وهي تتمادى في الكذب، نفذ صبري يا إليزا... المجهود لا يأتي من طرف واحد فقط، ارحمي نفسا تتنفس بك، تستيقظ وتنام بك، تعيش بك وتموت وتحترق للأبد من أجلك.

وعدني دانيال بالوقوف إلى جانبي، لكن اللعبة لعبتي، وعلي أن أنهيها كما بدأتها: وحيدا.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

أخذت ورقة ووضعت الأسماء في مخطط وكتبت ملاحظات عن كل شخص، لكن تنقصني معلومات. سيكتمل المخطط شيئاً فشيئاً. خرجت من غرفتي لتحضير قهوة، لم تكن أُمي هناك، أظنها في الحمام، لكن كايت في المطبخ تكلم أحدهم على الهاتف، لم أسمع الكثير لكنني سمعت ما يكفي لحل نصف اللغز.

"هل رآكما معا؟ وماذا فعل ويليام؟ رائع، لأنه سألني إن كان لك أقارب في لندن وقلت له أن كل أقاربك خارج البلدة.."

إذن كان ذلك ويليام... شكرا لك إليزابيث. لم أستطع الصبر أكثر من ذلك، دخلت بخطوات متسارعة فأغلقت كايت الهاتف وبدأت تحدثني حول ما تريد فعله مع أُمي، لم أنطق بكلمة واحدة واكتفيت بالابتسام وهز رأسي كأني أقول لها أن تفعل ما تشاء، أخذت قهوتي وعدت إلى غرفتي، أرسلت رسالة نصية أطلب فيها من إليزا أن تأتي للبيت للعشاء. طبعا بعدما قلت لأُمي أنه حدث سوء تفاهم بيني وبينها وأني أريد مصالحة صديقتي.

ابتسمت كايت، لقد نجحت خطتي، غادرت المنزل وقامت بإرسال رسالة على هاتفها، حتما هي لإليزابيث.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أنت تلك الفتاة إلى البيت متأنقة متجملة، الأصعب في كل هذا هو أنه علي التظاهر بأن كل شيء على ما يرام وأنني لا أريد إلا الإصلاح، قد يؤثر ذلك على علاقتي بكأيت هي الأخرى، أكلنا معا وأمضينا وقتنا مع أمي ثم قالت أنها متعبة وذهبت لتنام. لم يتبق إلا أنا وأنت حبيبتي الكاذبة، حان الوقت لتنظيم الفوضى.

- يسعدني أننا تمكنا أخيرا من التحدث معا بعد كل هذا الوقت..
- وأنا كذلك، كلنا نخطئ أليس كذلك؟

- أنا آسفة حقا، سأندارك خطئي أعدك بذلك.

- سأسامحك فقط إن أجبت على بعض الأسئلة. من يكون قريبك هذا؟

- اسمه مارك، يعيش في ألمانيا وأتى إلى هنا منذ يومين.

- جميل، وأين يبيت هنا؟

- في فندق وسط المدينة.

- رائع، لدي قضية مع مدير الفندق، ما رأيك أن ألتقي به لتكون علاقتنا شفافة تماما؟ سيعرف أنك لي وأنه لا يحق له الاقتراب منك مجددا؟

- بربك! إنه ابن عمتي لا يمكنك منعه من التكلم معي. ولا أريدك أن تشاجره.

- هاها لن أشاجره، ستقومين فقط بتقديمي له يا حمقاء.
- علي استعمال الحمام من فضلك.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

بدأت دموعها في النزول كأنها تريد الاعتراف، لم أتحمل رؤيتها تبكي لكنها أرغمتني على ذلك، ولا خيار أمامي سوى مواصلة الضغط عليها حتى تنفجر. أشعلت سيجارة كانت تقبع في درج في المطبخ، كانت هناك علبة سجائر رماها أبي هناك وكان يدخن سرا أحيانا، عندما تخرج أمي. خطوك يا أبي أنك كنت تدخن أمامي، أشعلت في ابنك الفضول لمعرفة ما الذي يحدث داخل رأسك عندما تدخن. عادت إليزابيث ووجهها محمر.

- هل أنت تدخن؟

- كل شيء غريب هذه الأيام أليس كذلك؟

- لن أقول شيئا. هل لديك شيء آخر تريد معرفته؟

- نعم، هل تحبيني؟

- طبعا أنا أحبك هاري.

كانت تلك نقطة ضعفي، قمت بحضنها وقبلتها ثم ذهبنا للنوم. نعم لقد احتضنتها وأنا أعرف أنا تكذب وتفترى... تبا لك إليزابيث... وتبا لي ولقلبي اللعين.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

أيقضتني إليزابيث وتناولنا الافطار مع أمي، ثم انصرفت وقالت أنها ستذهب إلى عملها.

- هاري علينا أن نتحدث بني.

- لقد انظرت أن نتحدث طويلا أمي، ماذا هناك عزيزتي؟

- بخصوص إليزا.

- ليس هذا ما كنت أريد الحديث عنه، لكن تفضلي.

- أظن أنه من الأجدر بك طلب يدها للزواج.

- ماذا؟

- لقد وجدت بالأمس في الحمام اختبار حمل، وأظن أنها حامل.

- سأفكر في الأمر..

- ما الذي أردت أن نتحدث بخصوصه؟

- لا شيء مهم، علي أن أذهب إلى مكتبي، تأخر الوقت كثيرا.

خرجت وأنا تحت الصدمة، أول من أفكر به عندما أقع في هذه الحفرة هو مثلي الأعلى، منصف شكري.

اتصلت به وطلبت لقاءه في الغابة التي اعتدنا الذهاب إليها. أتى متأخرا برقع ساعة تقريبا، لكنه هنا، جلسنا على جذع جاف وقصصت عليه أغلب ما جرى، وكانت اجابته أكثر شيء منطقي سمعته

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

منذ مدة، لا شيء غريب، فكل ما يحدث معي منذ شهرين يكاد يكون ضرباً من الخيال.

قال لي أن ويليام خارج السجن، لقد قرأ الخبر على مواقع التواصل الاجتماعي، وأنه يرجح أنه هو الشخص الذي كان مع إليزابيث، علي إذن أن أخطر باحتمال أن يكون منصف محقاً، سأستعمل اختبار الحمل هذا للضغط على إليزابيث لكن لن أفعله اليوم ولا غداً، بل يوم المحاكمة. شكرت منصف ثم ذهبنا إلى قاعة الرياضة وعاد كل منا إلى بيته.

" أبي العزيز...

لقد أرهقتني الحياة من بعدك، لقد وعدتك أن أكون خير خلف لك، لكنني لم أفعل. أظنني خذلتك مرة أخرى، لقد تركتني فجأة دون أن أقوم بتوديعك، لكنك لم تخلف وعدك، المتاعب التي حذرتني منها أنت كلها، أو ربما معظمها، لكنني أتمنى أن هذا كل ما كادت لي الحياة به. أمي مريضة، وهي لا تكلمني كثيراً، لقد سقطت تحت كاريزما محامية فاسدة، يا أبي لقد لعبت مع العصابة الخاطئة، إنهم أذكاء جداً، لكنك لم تلاحظ ذلك، كنت تظن أن ابنك هو أذكى شخص في المدينة، لديهم امكانيات لا أتوفر عليها، عامل تفوقهم علي كان السرية وتعدد الأطراف الذين يعملون لديهم، انهم يتفوقون علي عدداً وعدة. وأنا، ابنك الوحيد، كانت أمي الشخص الوحيد الذي يساندني، ألا ترى أنهم أخذوها إلى صفهم دون أن تعلم ذلك؟ هي تظن نفسها

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان
تجارهم لكنها أصبحت سلاحهم، وهي تضعفني يا أبي... أمي ترهقني
برفضها الاستماع لي."

اسأل مجنوناً إن كان كذلك

وسترى ما سيقوله لك

المظاهر خادعة، دائماً ما نحكم على الأشخاص عن طريق هيئاتهم، ملابسهم، ملامحهم... الوجه الملاكى والتصرفات الطفولية الخاصة باليزابيث جعلتني أخطئ الحكم عليها، لكنني استفتت قبل فوات الأوان، حاولت بكل قوتي تغيير رأي أمي وجعلها تقف إلى جانبي، لكنني لم أذكر لها أمر إيزابيث بعد. تحسباً لما حدث فعلاً، لقد وجدت نفسي أنا الضحية الآن، أمي هي من تريد مني أن أتبع كايث وخطتها، ولأول مرة سأتنازل عن كلمتي من أجلها، لكن هذا التنازل سطحي فحسب، الموت فقط من سيوقفني في رحلتي هذه.

وأنا عائد إلى المنزل قابلي مشهد مربع. السيد لورانس محاط بمجموعة من الأطفال يرمونه بالحجارة وينعتونه بالمجنون، لم أستطع تحمل الأمر، قمت بطرد الأطفال وعدت به إلى البيت لتنظيف جراحه وإطعامه هو وكلبه. حاولت الاعتناء به قدر المستطاع رغم علمي بأنه سيذهب من هنا مرة أخرى.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- عليك البقاء هنا قليلا عمي لورانس أرجوك.. انتظر فقط لمدة أسبوع أو اثنين.

- أنت تعرفني جيدا.. لا يمكنني البقاء طويلا.

- أنا أحتاجك هنا عمي لورانس، هل يمكنك لعب دور أبي لوقت قصير؟

- من قد يحتاج عجوزا مجنونا مثلي؟

- أنا أحتاجك، وأنت لست مجنونا يا عمي.

- ألا يقول الناس أنني مجنون؟ أنظر إلى حالي.

- هل أنت فعلا مجنون؟ ابحث عن الاجابة في أعماقك.

بقي يفكر كذلك لمدة ثم تحدثنا حول ما أحتاجه منه، طلبت منه البقاء لأيام فقط لكي يساعدني في إحكام خطة منظمة واختيار الكلمات التي سأقولها أمام الجميع يوم المحاكمة، ليس هناك مجال للخطأ. خاصة مع السيد لورانس الذي كان من أكثر الناس المهووسين بالمثالية والتفاصيل عندما كنت أعمل لديه. ذلك الشغف سيجعلنا ننسج شبكة عملاقة متكاملة متناسقة، لن تكون بها أية ثغرة. سيسقط ضحيتها عشرات الأشخاص، إن اخترت الكلمات الصحيحة والوقت المناسب لسرد الأحداث. بدأ مخطط الشخصيات وعلاقتهم ببعضهم البعض يكتمل، دعونا لا ننسى أن كل هذا مبني على فرضيات، لكن كل هذه الفرضيات أقرب للمنطق مما قصته علي إليزابيث، في الكثير من الأمور.

لو طلبت يد إليزابيث كما قالت أمي -بالرغم من أن الطفل الذي تحمله ليس مني- فإنها ستفصح أمري حتما، طلبت من أمي إذن أن لا تتحدث في الأمر لأحد وأنها ستكون مفاجأة بعد نهاية هذا الصراع. بدأت الأمور في التحول إلى صالحى، تظن كايث أنني انصبت لأوامرها وأننى وقعت في الفخ، شكرا لـ "العجوز المجنون" الذي علمنى كيف أتحكم في تعابير وجهى، أصبح ظاهرى كله حماس وغباء، وباطنى يكيد لهم كيدا.

لم أعرف إن كان هنالك ما يمكننى فعله لتعزيز موقفى الآن بعدما جعلت الجميع يظنون أنى يئست وأننى قررت تطبيق كل ما تقوله كايث، خصوصا بعدما قمنا بتحضيرى كشاهد وقمنا بجمع أدلة ضدهم، توليت لوجود ثغرات عديدة فى هذه الخطة، أنا متأكد الآن من أنها تركت هذه الثغرات عمدا من أجل أن نخسر القضية أمامهم، لكنى لم أقل شيئا وواصلت التركيز على هدفى، سأقوم بسد هذه الثغرات بنفسى.

أمى ابتعدت عني كثيرا منذ بداية هذه القضية، كنت أظن أن كل هذا سيجعلنا نلتحم ونكون أقرب من أى وقت كان، لكن هذا كان خطأ. خطأ لم أندم على اقترافه، هذا الخطأ جعلنى أفتح عيناى على العديد من الأمور، حان الوقت لتصحيح مسار حياتى.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أيقضني كلب السيد لورانس الذي دخل غرفتي ونام بقربي، لكنه لا يفارق سيده أبدا... هناك شيء ما يحدث، لقد اختفى مرة أخرى... لكن لماذا ترك الكلب هنا؟ لم يترك رسالة أو كلمة كما فعل مرتين في الماضي، لقد ذهب وحسب. إنها الخامسة فجرا، أين قد يذهب في هذا الوقت، ارتديت ملابسى وأخذت الكلب وخرجنا نبحث عنه، لقد أصبحت أنا المجنون الآن. ذهبت أولا إلى المكان الذي وجدته فيه أول الأمر، وجدت ورقة كتب عليها اسمي وتاريخ اليوم. لا تلعب معي هذه اللعبة أرجوك أيها العجوز.

"هاري بني، لن تجدني هذه المرة فلا تحاول، لقد انتهى عملي هناك، أردت اخبارك أن إليزابيث ستساعدك كثيرا إن طلبت يدها للزواج الآن، ستفهم ما أقوله لك عندما ترى ما سيحدث بعدها، لن يحدث ما توقعته أنت. لن تفضح أمرى، هي ليست بذلك الذكاء، ولا أحد منهم بذكائك يا هاري، أنت فقط تائه لأنك لا تعرف من معك ومن ضدك. سأقول لك شيئا، أنت وحدك الآن، كل الناس ضدك. لقد تركت لك الكلب أمانة عندك مني، إن عدت يوما فسأسترجعه وإن كان غير ذلك، فسيكون رفيقك فيما تبقى من طريقك، أتمنى أن يساعدك في المواصلة وعدم العودة إلى الوراء كما فعل معي."

قرأت هذه الرسالة وأنا أذرف دموعي ألما لمغادرته لحياتي بهذه الطريقة، ترك لي رسالة مليئة بالأسئلة والغموض، في نهاية الأمر هذا

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

العجوز الذي ادعى الجنون تبين في نهاية الأمر أنه حكيم لأبعد الحدود، لم أتبع نصيحته وواصلت البحث عنه، لكن دون جدوى. عدت إلى المنزل قبل التاسعة صباحا وأمي تنتظرني أمام الباب والقلق يبدو عليها، ذكرني ذلك بيوم حادث أبي... عادت نفس الصورة إلى ذهني ولم أستطع محوها رغم السنين. قمت بالركض نحوها واحتضنتها وشرعت في البكاء ونحن داخلون، لم تفهم أُمي ما جرى، ظنت أن مكروها قد حدث، أخبرتها أن ما أبكاني هو تذكري لصورتها تلك الليلة، وأن السيد لورانس ذهب ولن يعود مجددا، قامت بالتهديء من روعي ثم تناولنا الفطور معا. اقترحت عليها أن نذهب أنا وهي لشراء خاتم لكي أقوم بما نصحتني بالقيام به ذات يوم. إن كان علي لعب دور المغفل الأحمق، فعلي فعل ذلك على أكمل وجه. كم هو صعب معرفة أشياء كنت تخشى رؤيتها في من تحب، لا أدري إن كان الأصعب أن تخادع من تحب، أم أن تحب من تخادع، كانت تلك حالتنا أنا وإليزابيث. لا يعرف أي منا إن كان الطرف الآخر يتألم، يحترق من الداخل لسبب أو لآخر، إن أحبتني إليزابيث في نهاية المطاف فلماذا قد تفعل بي ذلك؟ عليها أن تلقى شيئا من العقاب، أليس كذلك أبي؟

ذهبنا أنا وأُمي إلى محلات المجوهرات واخترنا خاتما جميلا، وعدت إلى المنزل وحضرت نفسي ثم اتصلت بإليزابيث لدعوته إلى البيت بحجة أن أُمي تحتاجها بسبب مرضها الذي يطرحها الفراش لأيام. أتت بعد ساعة، جلست هي وأُمي وبدأت في مساعدتها في بعض الأشياء الروتينية، أما أنا، فأرتجف قلقا وخوفا من أن تفشل خطي. ها نحن

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

ذا! أي خطأ سيكلفني خسائر عظيمة، سأخسر كل ما بنيت منذ سنوات إن أخطأت ابتداء من الآن، يجب أن أتحدى بصبر أبي، بحيلة إليزابيث، بهدوء منصف، وبالهوس بالمثالية الخاص بالسيد لورانس، وبشجاعة أمي.

دخلت عليهن وقمت بما كان علي فعله، لحسن الحظ كل شيء سار على ما يرام، قامت إليزابيث برد فعل طبيعي ككل فتاة تتلقى طلب زواج من حبيبها. على الأقل أمي تظن أن كلانا صادق، أن حبنا جميل كحما لأبي. ظهر بعض القلق على إليزابيث، كأنها بدأت في مصارحتي لكن بحيلة أخرى، طلبت مني أنا وأمي أن نضغط على كايت لكي تطلب المحاكمة في اليومين المقبلين، كلمات السيد لورانس كانت دقيقة كأنه قناص. ابتسمت لرؤيتها بذلك الحماس الزائف. ولأول مرة، شعرت بلذة تلك الابتسامة التي ترتسم على وجه أحدهم عندما يعرف أن شخصا آخر يكذب ولكنه يتركه كذلك ويتظاهر بتصديقه.

كما كان متوقعا تكلمت أمي مع كايت وأخبرتها أنني سأزوج قريبا مع إليزابيث وأنه لا بد من تقديم يوم المحاكمة، الغريب أن كايت قامت برد فعل غريب، لا هي سعيدة بالخبر، ولا هي متفاجئة لسماع هذا الأمر، كأنها كانت تنتظر أن نخبرها بذلك، أكيد أن إليزابيث أخبرتها بكل شيء قبلنا وقد قامتا بالتخطيط لشيء ما، حسنا لقد خططت لشيء ما قبلكما وقبل كل واحد منكم. لست ملما بالتفاصيل كلها سأعترف بالأمر، لكنني قادر على تخمين بعض ردات فعل كايت و إليزابيث، حسنا المشكل الآن يكمن في معرفة من هم ناس الخفاء، لا يمكنني معرفتهم لكن المجنون الحكيم قال لي أنهم في كل مكان من

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

حولي وأنهم أقرب إلي من نفسي، سأملك في بيت منتصف إلى يوم المحكمة، أخبرتهن أنني أواجه ضغطا كبيرا بسبب شهادتي في المحكمة بعد يومين وأنا سأبيت خارج البيت وأنا سنلتقي في المحكمة مباشرة، طلبت منها أيضا إحضار إليزابيث معها وأن حضورها هناك سيجعلني أحس بالأمان والثقة.

اتصلت بمنتصف وحملت أغراضي وذهبت إلى بيته، أمضينا يومين كلها ضحك ومرح، لم أنعم براحة كتلك منذ مدة طويلة جدا. إلا أن الراحة بدأت في التلاشي عندما كنا في معمل الخشب، أين أخبرني أنه سيعود إلى الديار قريبا، لقد كان الخبر بمثابة لكمة أخرى ألقاها لم تزدي إلا ألما وانكسارا. وعدني بالعودة لزيارتي. لكني لا أعرف إن كان سيبقى على قيد الحياة هناك حتى يعود لرؤيتي هنا. لكن لا حياة بلا أمل. أمل أن هذه ليست آخر مرة نمضي فيها وقتا معا. أخبرته بهذه الكلمات التأفهة التي بقت عالقة على لساني المتثاقل. ثم انصرفنا للنوم، غدا يوم الفصل.

لقد فقدت الكثير، الكثير من الأشخاص، الكثير من الوقت، الكثير من المال، وقبل كل شيء الكثير من أيام حياتي البائسة المعدودة. وأنا أمام آخر نزال للفوز بالمنافسة، وغالبا ما يكون آخر جزء من السباق هو الجزء الحاسم، وكذلك الجزء الأصعب، لأن الإنسان يصاب بالإحباط، ويقل حماسه كلما اقترب من هدفه حتى يجد نفسه فارغا من كل رغبة عندما يمسك بفريسته بين أصابعه، فالمتعة الحقيقية كانت في الصيد لا في الأكل، لكن أنا من المفترض أنني

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

محارب، مجاهد، لن يتلذذ إلا بنهاية الحرب وبالإنتصار، لماذا لست متحمسا كحماس أُمي؟ إنها متحمسة كطفل ينتظر بداية برنامجها المفضل على شاشة التلفاز، وهي كالطفل أيضا إذ لا تعلم شيئا مما يدور خلف الستار، لكنها تستمتع بالعرض رغم كل شيء.

أظنني فارغ من كل المشاعر والأحاسيس حاليا، بعدما ذهب جميع من كانوا أقاربي وأحبائي قبل فترة، ذهبوا جميعهم ولم يتركوا إلا بعض الذكريات وكلبا صغيرا يتبعني في كل مكان، المجنون سيقودني للمجنون، قال لي أنني الآن وحيد، وها أنا فقدت الجميع وأصبحت وحيدا حقا. ما الذي سيحدث بعد هذه القصة؟ هذا السؤال يحرمني النوم ليلا. كيف سأعود إلى حياة طبيعية بلا أحد حولي؟ بلا سند، بجسد مرهق، بروح محروقة، بنفس صدئة، بالية كقطعة الخشب التي كانت بمثابة باب في منزلنا القديم.

لا أجد حتى طريقا للكذب على نفسي وقول أن الحياة ستغمرها الورود عندما أقتص منهم، لقد كان هدف حياتي مواصلة طريقي نحو الانتقام، لكنني لم أفكر لما بعد ذلك قط. كأني ظننت أنني سأموت مباشرة بمجرد أن يطرق القاضي بمطرقته الخشبية على تلك الطاولة. أنا من أصيب بالمجنون يا عم لورانس، أنا المجنون أيها العجوز...

أَنْ لَا تَفْعَلْ شَيْئًا لَا يُؤْدِي إِلَّا

لِتَأْخِيرِ النِّهَايَةَ

كل شيء مقدر، فلم الإنتظار؟ سأواجه مصيري في كل الأحوال، أقول هذا من باب السرعة لا التسرع. قابلت أمي برفقة كايت وإليزابيث، ألقىت التحية وبدأت كايت في إعطائي التعليمات الأخيرة، كنت أهز رأسي وأتظاهر بأنني أركز على كلامها إلا أنني لم أكن أركز إلا على خطتي التي لا أحد ينتظرها حتما. قالت أمي أنها سعيدة جدا لأننا وصلنا أخيرا إلى ما سعيننا من أجله وأن لا شيء يمكنه أن يجعلنا نخسر القضية.

لم أراي متعصبة كهذا اليوم قط، لقد قلقت عليها كثيرا خاصة وأن حالتها الصحية تراجعت مؤخرا. وهنا تجلت الثغرة في خطتي، الثغرة التي غفلت عليها ولم أضعها في الحسبان، الورقة التي قد تجعلني أخسر كل شيء: خوفي على أمي التي كانت بمثابة لعبة بين أيدي كايت ومن تعمل لصالحهم، فما كان علي سوى التراجع قليلا والتحدث إلى كايت على انفراد.

- ماذا هناك هاري؟

- أريد أن أطلب منك شيئاً، أعرف أن احتمال خسارتنا لهذه القضية كبير جداً... وأريد منك أن تساعدني للخروج بأقل الأضرار الممكنة، من فضلك.

- لا أخفي عليك أن القضية معقدة جداً وأن الميزان مرجح لكفّتهم، لكن إن التزمت بما قلت لك فستكون الغلبة لنا، لو كنت مكانكم لما حاولت الوقوف في وجههم، أسفة يا هاري لكن والدك أخطأ بتعامله معهم.

- أنت لا تعلمين عم تتحدثين... علي الذهاب، ستبدأ المحاكمة بعد قليل.

أشعل حديثها عن أبي نارا أحرقت صدري وكادت تفجر قلبي غضباً، سأكتم غضبي إلى حين.

امتألت قاعة المحاكمة وبدأت ساعة الحسم بالإجراءات الروتينية، كنت خارج القضية تماماً لمدة طويلة نسبياً، كانت كايت تبلي حسناً بالنسبة لأمي، جعلت خصمها يقع في الثغرات التي وضعتها عمداً لكي تضرب ضربة أخرى تجعله يصمت، لم يكن هناك حاجة لكي أ تدخل حتى عندما بدأ القاضي في طلب الشهود، لم يكن هناك شهود إلا أنا، وتلك كانت الثغرة التي كانت كايت تضع عليها كل أملها لإفساد الأمر، لأن تعليماتها كانت ستقودنا نحو فشل محقق. شعرت أُمي أنني أنا من سيجعلها تخسر القضية، فلم أستعد ثقتها في بعد، فطلبت والدتي من كايت أن تتخلى عن شهادتي وأن تواصل عملها لوحدها لكنها أصرت.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

هنا وقعت أنا في حفرة الحيرة، هل أفعل كما تريد كايث وأمي وأترك قاعدتي الأولية والفوز بهذه الحرب؟ أم أفعل كما خططت وأتحمل مسؤوليةتي مهما كانت النتيجة؟

- سيدي القاضي، السادة الحضور، اسمحوا لي أن أتكلم لا بصفتي شاهدا فحسب، بل سأرتدي ثوب الضحية أيضا، وأرجو منكم عدم مقاطعة كلامي من فضلكم لأنني انتظرت هذا اليوم لأكثر من خمس سنوات.

وقف أحدهم قائلا أن عملي يقتضي الإجابة على الأسئلة فحسب، قال القاضي أن ذلك صحيح وطلب من محامي المتهمين أن يطرح أسئلته علي.

- سيدي، هل والدك أخبرك بصريح العبارة أن موكلي هو من هدده بالقتل إن لم يرجع له المبلغ المالي الذي ذكرتموه؟ - لقد مات قبل أن يخبرني بأي شيء. لكن شخصين ممن يعملون معه أتوا لتهديد أمي أكثر من مرة، وقد أتوا وأخذوا مبلغ أربعين ألف جنيه مني بعد وفاته بمدة قصيرة.

- هناك تناقض فيما تقوله سيدي، إن كان لك المال الكافي أصلا فلم قد تستعيره من موكلي؟

- لم يكن لي أي مال، لقد دفعه عني شخص بعد وفاة أبي. إليزابيث. تبين بعد تحليل للوثائق أن إليزابيث لم تستخرج أي مال من البنك خلال ذلك الأسبوع، الخطأ الأول.

محمد الصديق وردي ————— بعد فوات الأوان

- السيدة إليزابيث لم تستخرج أي مال من البنك، وحسب وثائق حسابها، فهي لم تبلغ أربعين ألف جنيه قط، ماذا تقول ضد هذا؟
- أنا لا أعرف، هي طلبت مني فقط أن أقبل هذا المال وأن أسدد به ديوني.

- سيدي، الكذب لن يأخذك بعيدا. لدي أسئلة أخرى، هل لديكم أي...
قاطعها القاضي وطالب بمهلة عشر دقائق للتشاور مع اللجنة، ذهبت إلى إليزابيث وطلبت منها تفسيراً، لكنني لم أتلّق رداً إلا "آسفة، لم أفعل إلا ما طلب مني" لقد خلطت بداية الجلسة هذه كل أوراق. توجهت نحو أمي.

- أمي العزيزة، لم أفعل إلا ما طلبته مني كايّت وأنت ترين أين تأخذنا، أليس كذلك؟

- نعم بني، لكن ما بيدي حيلة يا ابني.

- بلى هناك أمل أخير، يمكن أن ننجح أو أن نفسد كل شيء

- افعل ما تراه خيراً هاري، انا أثق بك. لم نكن لنوفق على كل حال...
الأمر حسم قبل أن تبدأ في الكلام حتى.

ثقة أمي، ذلك الشيء الذي بحثت عنه منذ أسابيع ولم أجده إلا بعد فوات الأوان. عدنا إلى القاعة ويبدو أن أعضاء اللجنة صمموا على الحكم النهائي. تكلم القاضي ناظراً إليّ كأنه يصدّقني، بل كأنه لا يريد أن يحرمي من هذه اللحظة التي انتظرتها طويلاً، لكن ما جدوى

إعطائي فرصة التكلم إن كنتم قررتم الحكم مسبقاً؟ آسف أمي، لقد اختلطت أوراقى ولم يبق لي سوى أن أفرغ ما يحمله قلبي الجريح هنا.

- سيدي، لديك عشرون دقيقة لكي تقول ما عليك أن تقوله.
- شكراً لكم سيدي القاضي على إعطائي منبراً رغم اتفاقكم على قراركم النهائي، أولاً أعلم أن العصابة التي واجهتها كبيرة ولها أعضاء في كل مكان، أليس كذلك؟ محامية أمي كايث؟ خطيبي إليزابيث؟ علي أن أوضح لك أن خطوبتنا لا معنى لها، أعرف أنك حامل من ويليام، من كنت تدعين أنك تقفين إلى جانبي ضده، أعرف أنه قريبك الذي كنت برفقته ذات مساء، كلكم ضدي الآن، لم تتركوا لي حتى فرصة للدفاع عن نفسي، هل تدعون هذا قتالاً عادلاً؟ قمتم بتسخير جيش كامل من أجل محاربة شخص مثلي! إليزابيث، رأيتك أكثر من مرة رفقة ويليام، أعلم أنكم خططتما لأكثر من شيء ضدي وخصوصاً لهذا اليوم، أخرج سلاحك واقتلني اليوم إن كان ذلك سيريحك، لقد أردت أن أكون محامي أمي لكي أحميها من أعضاء مثلك كايث، جعلت أمي تشك في وتدعي أنني مجنون! جعلتها تساعدك في تطبيق خطتك ضدي، علمتم أنني لن أسمح باغتصاب حق أبي الذي قتلتموه، وكلكم شارك في عملية قتله، حتى أنت، الشقراء الجميلة التي لم ترد إلا أن تساعد شخصاً وجدته وسط الطريق. لا علينا، سيدي القاضي، أيها اللجنة، أعرف أن أملي في الخروج من هذه الحرب منتصراً كأمل مريض بالسرطان في مرحلة متقدمة في الشفاء، ربما حتى يوم رأيت القاضي يأخذ رشوة ذات يوم كانت مسرحية بما أنهم علموا أنني سأكون في السيارة في تلك اللحظة بالذات. صراحة، لا أجد إلا أن أصفق لكم!

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لقد نجحتهم مهما كان هدفكم، ما كان علي تحدي عصابة كاملة وحيدا. الآن لم يعد بإمكانني فعل شيء، لقد أخطأت باستنجادي بمنظومة قضائية فاسدة، هذه المؤسسة التي لا تخلو طبعاً من جذور هذه العصابة، أتمنى منكم أن تضعوا أنفسكم مكاني للحظة فقط. - هل هذا كل ما لديك؟ ما زال أمامك عشر دقائق.

- لا جدوى من الكلام الفارغ الآن. لقد فات الأوان.

- الكلمة الآن للجنة، ما حكمكم سيداتي سادتي؟

- أولاً وقبل كل شيء اللجنة انقسمت بين رأيين، بعضنا مقتنع بكلام السيد هاري، وبعضنا الآخر من بينهم أنا، أظن أن هذا كلام فارغ لا أساس له من الصحة، والعلة هي عدم وجود أدلة ملموسة لتورط المتهم في أي من التهم التي علقت به، والدليل خروجه من السجن قبل سنوات بعد ثبوت براءته.

- إذن بعد الإطلاع على...

لم أعد أسمع شيئاً، لم يعد هناك شيء حولي إلا أمي التي وقفت من كرسيها ونظرت إلي والدموع تسيل من عينيها أنها... تجسد لي أبي في مكان القاضي، أبي الذي كان ينظر إلي كأنه يقول لي أنني خذلته، لكنه ليس غاضباً مني لأنني قمت بما يجب تجاهه وتجاه أمي، ثم قام من مكانه وتقدم نحوها وقام بتقبيلها واختفى. عدت إلى الحياة الواقعية وسمعت آخر كلمات القاضي التي اخترقت جسدي كأنها

رصاصه.

- أن المتهم بريء..

سقطت أمي مغشياً عليها وتم أخذها إلى المستشفى على جناح السرعة، حاولت إليزابيث اللحاق بنا لكنني أوقفتهما صارخاً في وجهها "لقد حطمت حياتي، لقد اكتفيت منك ومنكم، هذا يكفي! اخرجي من حياتي الآن" وركبت سيارتي وتبعت سيارة الإسعاف إلى المستشفى. عاد شريط أحداث قصة آخر أيام أبي بين أحضان الحياة وكيف عانيت الأمرين قبل أن يغادرننا ويترك في قلبينا فجوتين هائلتين.

الحياة كالمرآة، قد تحبك بلا سبب وجيه يدفعها لذلك، وتبتسم لك أينما وكيفما واجهتها، قد تسمح لك حتى ببعض الأمور التي لا تتيحها لجميع الناس، وقد تكرهك في المقابل رغم كل ما تفعله لجعلها تبتسم في وجهك ولو مجاملة. إلا أنها تزيد عبوساً وبشاعة كلما قدمت أكثر وأعلى، وتدير وجهها نحو من لا يبالي بها، من لا يعبرها اهتماماً إلا نظرة خاطفة من حين لآخر.

أدخلوا أمي إلى المستشفى، لم أجد إلا أن أعتزل الناس وأبحث عن ركن فارغ لأقوم بما علمني منصف مرة أخرى.

"إلهي، ها أنا أستنجدك مرة أخرى لتخرجني من هذه الغرفة الباردة الموحشة، قلبي يحترق لرؤية أمي على هذا السرير وكل الممرضين حولها، أخرجني من هذا المستشفى وأنا أمسك بيد أمي، أترجأك بكل اسم سميت به نفسك أن تنقذ أمي من هذه الحالة، لا زلت أحتاجها،

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

لم يجبر جرح قلبي لفقدان أبي، ثم فقدان الجميع الواحد تلو الآخر...
لست أحدا لكي أقف في طريق رغبتك الإلهية، فيا إلهي، خذ بيدي
وافعل بأمي ما أنت فاعل، إن كانت وفاتها أحسن لها من حياتها وسط
كآبة تأكلنا من الداخل يوما تلو الآخر، فاجعلها بين ملائكتك، وإن كان
لا يزال بوسعها تحمل المزيد، وهذا ما أتمناه، فأبق عليها بين الأحياء."

بدأت في تحضير نفسي ذهنيا لسماع خبر غير سار، فبعد كل شيء
كانت صحتها تتدهور، وقد زاد من حدة مرضها كل هذا التعب الذي
ذهب في مهب الريح، بعد أن كانت كلها أمل في غد أفضل لنا، ربما لم
تتحمل أيضا أنني أخفيت عنها كل ما قلته قبل قليل، علاقتي الزائفة
بإليزابيث، شعوري بالتمهيش من قبلها وفقدانها الثقة بي. أنا من
أوصلها إلى هذا الموصل، كما أوصلت أبي إلى نفس الحالة بسبب
أفكاري الغبية، وأحلامي الصعبة المنال.

دخلت إليزابيث وهي تبكي، لم أرد النظر إليها حتى، ذهبت للخارج
وقلت أنني سأشعل سيجارة، من الغباء عدم توقع قدومها خلفي، ماذا
تريد مني الآن أيضا؟

- هاري دعنا نتكلم للحظة أرجوك. لم تخسر بعد.

- توقفي، لا يمكنني التحمل أكثر من هذا، لا يوجد ما يقال بيننا بعد
اليوم، انتهى كل شيء، لم أعد أريد الانتقام حتى، فقط دعوني وشأني.
لقد تعبت...

- سنلتقي مرة أخرى هاري، عندما تهدأ أعصابك.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

كيف يمكنها مقابلي بعد كل ما حدث؟ لماذا يخططون هذه المرة؟
لقد سبق أن سلبوني أعز ما أملك، ماذا يريدون الآن؟! ألا يعرفون أنه
لم يتبق لي ذرة إيمان في أن حياتي ستكون أفضل مما مضى؟ ألا
يعلمون أنني الآن شخص ميت يتحرك؟ ألا يرون أنني ألقيت بسلاحي في
نهر من الدموع؟!

خرجت ممرضة لإخباري أن أمي استفاقت وهي تريد رؤيتي، رميت
سيجارتى وأسعرت لرؤيتها

- أهلا أمي.. لقد أخفتني.

- أهلا بني، أنا أسفة لأننا خسرنا القضية، كل ذلك كان بسببي.. كان
علي أن أثق بك وأن أصدقك منذ البداية، لكن معاملة كايت لي
والعلاقة التي نشأت بيني وبينها أعمتني، لوهلة ظننت أنها ابنتي التي لم
ألدها.

- أنا من عليه أن يتأسف، لقد استسلمت. كان علي مواصلة القتال
حتى آخر نبض.

- لا تقل هذا هاري، لو ساندتك ووقفت إلى جانبك لكنت واصلت حتى
الوصول إلى هدفنا.

قاطع حديثنا الطبيب الذي دخل علينا وبدأ في الكلام مع أمي، ثم
قال لي أن أنتظر في الخارج وأنه يمكنني أخذ أمي إلى البيت بعد
ساعتين.

توجهت نحو أول مقهى صادفني، أشعلت سيجارة أخرى وانصرفت

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

إلى عالمي الخاص، أين لا يوجد إلا أنا والقهوة والسيجارة نغوص في السماء. لا حرج في أن أنعم ببعض الراحة لنصف ساعة قبل العودة إلى سنوات من التعب والحزن من جديد.

في طريق عودتي إلى المستشفى رأيت سيارة سوداء مركونة وسط سيارات الاسعاف، وأخرى مثلها تماماً خارج المستشفى، الأمر الذي أثار شكوكي هو لوحات ترقيم السيارتين تحمل رقمين متتابعين. قررت ومن باب الاحتياط كتابة رقم تسجيل السيارتين على هاتفي ثم دخلت المستشفى وفكرة أن أمي لن تستيقظ تأكل رأسي، تناقلت مشيتي وقمت بإطالة على غرفة أمي، فوجدتها مستلقية على فراشها مرهقة كأنها خاضت نزالا، اقتربت منها وقيلت جبينها ثم جلست إلى جانبها وأراقب السيارة المركونة في الخارج من حين لآخر. حتى اختفت دون أن أرى شخصا يركبها أو حتى أن ألاحظ أنها تحركت من مكانها، بدأت أمي في الكلام بصوت منخفض.

"هاري، لقد أتوا مجددا، قالوا أنني قد اقترفت خطأ كبيرا بوقوفي ضدهم في المحكمة، وأن عواقب فعلتي ستكون وخيمة" لم أجد ما أقوله لها إلا أن أعدها بأنني سأفعل ما بوسعي لحمايتها، وأنني لن أفشل مجددا... ليس هذه المرة.

أصيبت أُمي بوسواس جعل حياتها جحيما، وكذلك حياتي أنا أصبحت أكثر سوادا من ذي قبل، صار علي تحمل وسواسها، وكذلك تفكيري فيها المتواصل عندما لا أكون في المنزل، كأن وسواسها أصابني بالعدوى. لم يعد لنا سند في هذه الحياة سوى بعضنا البعض، أصبحنا نشك في جميع الناس من حولنا، قد يكونون منهم. أصبحت أخاف من ظلي... حرفيا.

لم تترك لي أُمي وقتا لأعتاد على وسواسها وللتأقلم مع صراخها وسط الليل، ذات ليلة لم أستيقظ بسبب صراخها، بل أيقظتني أشعة شمس الصباح التي تسللت من النافذة في يوم صيفي مليء بالحزن، لم أسمع صراخ أُمي بالأمس، دخلت غرفتها فلم أجدها هناك، بحثت عنها في كل المنزل ولم أجد أثرا لها... ذهبت لإبلاغ الشرطة وهنا بدأت الأسئلة تتساقط كحبات البرد على قرية صغيرة. أُمي توفت منذ أسبوع، بينما أمضيت الوقت مخمورا في حانة قرب منزلي منذ سماعي لذلك الخبر. الجميع يحدثني بنفس القصة. لم أعد أفهم شيئا، لقد كانت هنا بالأمس! لقد بكيت ورأسي على صدرها، لقد كان فراشها دافئا عندما استيقظت اليوم! أنا لا أخلق الأمور، لقد شعرت، سمعت، رأيت!! لكنني صدقت الأمر عندما أخذني أحد الأصدقاء إلى قبرها، انهرت بالبكاء والصراخ أكثر من بكائي على أبي. "ماما، متى ذهبت؟ متى ثملت؟ ماذا حدث قبل ذلك؟ ماذا حدث بعده؟ أين كنت أنا؟ لماذا لم أرد التوقف عن الشرب حتى اليوم؟ لقد وعدتك أن أحملك منهم! هل أديت عملي بأكمل وجه؟ أم أنني خذلتك كما خذلتك عشرات المرات؟ هل كانت وفاتك بأمر من الإله أم من إنسان؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أريد أجوبة... أرجوك أمي. ما الذي تبقى لي بعدك؟ ما الذي سيرسم
بسمه أخرى بعد اليوم؟ ماذا سأفعل الآن يا أمي؟ ارقدي بسلام أمي
الحبيبة."

تركت قبرها وعدت إلى البيت وأنا لا أفهم شيئا لحد الساعة، لم
يعد هناك شيء لفهمه، دعني أأمل حتى أفقد وعيي أو أن أفقد حياتي،
لم يعد هناك شيء يستحق العيش لأجله. لم أنته من شرب الكأس
الأول حتى دخلت إليزابيث، لم أجد حتى القوة للهبوط وإخراجها من
الحانة، جلست بجانبني لكنني واصلت الشرب كأني لم أرها، سأغيب عن
الوعي قريبا على كل حال، لن أتذكر قدومها إلى البيت حتى!

- لقد بحثت عنك وقيل لي أنك لا تغادر هذا المكان منذ وفاة والدتك...
أسفة بشأن ذلك.

- لقد عانيت بما فيه الكفاية في هذا العالم.

- أنا أفضلك عندما تكون تحت تأثير الكحول، هل تعلم؟

- أجل، حتما لأنني لا أريد رؤيتك عادة عندما أكون في كامل قواي
العقلية...

- ربما، سأحاول المرور هنا أكثر إذن.

- لا تتسرع، ماذا تريدان؟

- أريد أن أتكلم معك، وقول الحقيقة والحقيقة فقط.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- ليس لديك الكثير من الوقت، سأسقط مغشياً علي بعد لحظات.
- استمع لما سأقوله لك أرجوك، لقد حدثت أشياء كثيرة بينما كنت
تشرب، أتدري ما الذي حدث من بعدك؟

- لقد اشتقت إليك أيتها الكاذبة. أيتها الكاذبة اللعينة... يا من سرق
قلبي، وحياتي، وحياة من أحببت.

- أنا لا أكذب هاري، نعم في البداية كان ويليام من يأمرني بفعل الأمور
لكي أستدرجك لهم، والمال الذي دفعت به ديون والدك كان ماله،
وقال أن معاناتك وصراخك أغلى من أربعين ألف جنيهه، لكن بمرور
الوقت تعلقت حقاً بك، لقد أصبحت جزءاً مني، والآن أنا أعرف أنني
أحبك، وأنا لا أكذب الآن.

- لقد فات الأوان، لم يعد هناك ما أعطيه.

- لا أريد أن تعطيني شيئاً، انظر هذا.

أخرجت هاتفها وأرتني شيئاً، لم أستطع التركيز بسبب الشراب،
لكني أظن أن "العصابة" في السجن الآن.

- سيخرجون من السجن بعد أسبوع. ولماذا لست معهم؟ أنت واحدة
منهم أليس كذلك؟

- بلى، لكنني اتفقت أنا وويليام أن نبلغ الشرطة بأسماء كل الأعضاء
على حساب حريتنا وإعطائنا فرصة لبدء حياة جديدة، فوافق وقمنا

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

بالتبليغ، العصابة كانت تضم أكثر من مئة شخص، من بينهم قضاة،
شرطيون، أطباء، بل حتى نوابا وسياسيين.

- إذن أنت مخادعة حتى في عملك؟

- أحاول أن أبدأ حياة طبيعية، أن أكون أخيرا إليزابيث التي أردت أن
أكون.

- وكيف حال حملك؟

- لقد أجهضت..

- أحسن ما فعلت! سيكون من الظلم أن يولد طفل ويتعرض بين
أحضان أم مثلك.

- هل إيقاعي بالعصابة كفيلا بجعلك تعطيني فرصة أخرى لتعرف من
هي أنا حقا؟

- عزيزتي، أنت سراب، ظاهرك واحة وباطنك صحراء، جميلة وخطيرة.

- هل يمكنني رؤيتك مجددا عندما تتوقف عن الشرب؟
- طبعا، اتصل بي.

لن أتذكر حرفا من الحديث الذي جرى بيني وبينها، أنا مخمور، ولا
أريد أن أستفيق.

ها أنا الآن في نقطة الانهيار، وجدت نفسي تماما في المكان الذي
لم أرغب في أن أكون فيه، في الحالة التي لطالما خفت أن أصير عليها،
وحيدا، خائفا، حزينا، مكسورا، مخمورا، فارغا من الداخل، جثة

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان
حياة. والآن... لا مجال للأمل، لا ماضٍ يمكن تصليحه ولا مستقبل
جميل ينتظرني.

عدت إلى البيت منكسراً ونمت في غرفة أمي، كأني أنتظر عودتها،
وبجانبى كلب السيد لورانس، السيد لورانس... الذي لم يعد، تماماً
كما كتب في تلك الرسالة.

الزمن هو العلاج الوحيد

لقد اكتفيت، اكتفيت من الألم، اكتفيت من الخداع، اكتفيت من الفساد، اكتفيت من البكاء، اكتفيت من كل شيء.. لم يعد هناك أمل، كنت أعيش لكي أرسم بسمه على وجه أمي وأبي، لكنهما ذهبا من دوني، وتركاني هنا وحيدا.. خائفا.. كل ما أريده الآن هو اللحاق بهما بين الأموات... داخل قبر يحويني ويلحقني بهما هناك.

فتحت خزانتي أبحث عن طريق توصلني إلى الضفة الأخرى، أين ينتظرني والداي، وأحلامي التي قتلت قبل أن أعرفها حتى. الحبل هو الحل! لطالما كنت كيس ملاكمة الذي يتلقى الضربات واللكمات. ولقد آن للكيس أن يعلق بحبل يرفعه عن الأرض قليلا. ربطت الحبل على شكل حلقة وربطت النهاية الأخرى بسقف غرفتي. وأمسكت به والدموع تكاد تحجب الرؤية عني، انكسار روجي بموت أغلى شخصين في حياتي لم يكن كافيا، بل علي الآن أن أشهد موتي أيضا، هذه الأفكار أفرغت صدري مما كان يحتويه.

والأسوأ من أن أشهد مقتلي هو المرأة المعلقة في الجدار أمامي، المرأة التي قابلتها وأنا أربط العقدة التي ستحل عقدة عذابي -أو تنتقل بي

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

من عذاب لآخر- أنا أرى نفسي أحضر بنفسى مقتلي. لا أحد سيلاحظ غيابك عزيزي، إلا بعض السارقين الذين قد يتسللون إلى الداخل عندما سيرون أن سيارتك لم تتحرك منذ أسابيع.

وأنا أمسك الحبل بين يدي، أتنى أفكار تمنيت لو أنني شربت حتى الثمالة قبل أن أقدم على هذا الفعل لكي لا أفكر بها. "ماذا لو كان غدا أفضل؟" "ماذا لو كان هناك حل آخر؟" "هل ستستسلم بهذه السهولة يا هاري؟"

لم يعد هناك أمل في بقائي هنا بدون أمي وأبي.. ودون إليزابيث... أه.. إليزا، أجمل كذبة عشتها في حياتي، كم أتمنى لو أنك كذبت علي لمدة أطول، لو أنني لم أرك في تلك الوضعية ذلك المساء... لما كنت واقفا والحبل حول عنقي. لربما كانت ربطة عنق تزينني يوم زفافنا هي الشيء الوحيد الذي سيحيط بعنقي.

فهمت أن الحل هو أن أتوقف عن المحاولة، لن أحاول جعل حياتي نعيما، لن أحاول أن أنهي حياتي الآن، لن أحاول أن أغير الأمور، لن أحاول.

لست مجبرا على قتل نفسي في الحال، سأنتظر يوم مغادرة منصف، على الأقل لن يسمع بموتي. تركت الحبل معلقا كما هو. وارتيمت وسط الغرفة وأشعلت سيجارة وأنا أفكر. منصف هو أمني الأخير. أمسكت هاتفي وارسلت له رسالة "هل تريد جني بعض المال قبل مغادرتك انجلترا؟ تعال إلى منزلي بعد ساعة من

الآن"

بعد ساعة أتى منصف وهو متحمس للفكرة

- أهلا منصف.

- كيف حالك أخي؟

- بخير، ماذا عنك؟

- في أحسن حال، ما قصة المال؟

- تحب صناعة الأشياء الخشبية صحيح؟

- طبعاً، لكنك سأمتنها إن لم أكن ما أنا عليه اليوم.

- لطيف! هل يمكنك صناعة كوخ وقارب صغير من أجلي؟ أحتاج إلى

قضاء عطلات نهاية الأسبوع خارج لندن وضجيجها.

- فكرة جميلة، لكن أين؟

- هل تذكر تلك الغابة قرب البحيرة الكبيرة؟

- طبعاً، لن أنسى مغامرة ذلك اليوم أبداً، لكن طريق الوصول إلى

هناك صعب وطويل.. أنت تعرف حالتها، لقد عانينا للوصول إلى

البحيرة.

- ذلك هو المكان الوحيد الذي أريد التواجد فيه الآن..

- لك ذلك، هل لديك فكرة عن الكوخ؟ شكل؟ مخطط؟

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

- ليس تحديداً، طالما هناك سقف ومساحة صغيرة فذلك يكفي.
- حسنا صديقي، أريد المزيد من القهوة وبعض الأوراق، لكي أصمم كل هذا و أقدر كمية الخشب اللازمة لبناء القارب والكوخ.
- أنت الأفضل أخي! تفضل، سأتركك هنا مع قهوتك، علي أن أقوم بعمل مهم، سأعود سريعا.

خرجت مسرعا من البيت. لا أدري لماذا لبيت النداء بتلك السرعة، إليزابيث تريد رؤيتي وتقول أنها حالة طارئة. لا أريد رؤيتها مرة أخرى، ليس بعد كل ما جرى..

أمسكت هاتفني واتصلت بها

- هاري، هل أنت قادم؟

- ماذا تريد مني؟

- علي أن أخبرك بشيء لكن يجب أن أراك..

- لن تريني مجددا إليزابيث.

- أرجوك...

- لا تحاولي، لم يبق مني شيء لتخريبه، انتهت اللعبة، حرقتم كل شيء.

- أنت لا تفهم ما أعنيه.. لقد .. سأتي إلى منزلك.

- وداعا حبيبتي.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

سمعت شهيق بكائها، ولأول مرة لم يكسر ذلك خاطري، ربما لأن كل جزء مني قد كسر بالفعل، أغمضت عيني وأنهيته المكاملة. عدت إلى البيت وأنا ألتذذ بذلك "النصر" الذي حققته بكتي حزني واشتياقي لها. منصف ينتظرني أمام الباب، يبدو قلقاً. - اجلس هاري من فضلك.

- ماذا هناك؟

- لقد كنت أبحث عن أفلام لأنهي تصميمك، ودخلت غرفتك.. وجدت حبلاً معلقاً.. هل لديك أفكار.. تعرف ما أعنيه.

- لا تقلق صديقي، أنا أسيطر على الوضع.

- أنا هنا، سأساعدك بكل ما أستطيع.

- أنا بخير، لا تقلق... إذن دعنا نبدأ في بناء الكوخ اليوم قبل بداية الخريف.

ذهبنا في سيارتي إلى معمله لأخذ العتاد وقمنا بطلب كل المستلزمات والألواح الخشبية، نقلناها إلى المكان الذي اتفقنا عليه، كان علينا قطع مسافة طويلة ذهاباً وإياباً على الأقدام لحمل العتاد من المكان المحدد إلى أقصى نقطة يمكن الوصول إليها بالسيارة. كانت إليزابيث في هذه الأثناء أمام منزلي، هاتفني لا يتوقف عن الرنين، لن أجيـب.

أمضينا أسبوعين من العمل الشاق منذ طلوع الشمس حتى غروبها

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

حتى أنهينا العمل، وكانت النتيجة أكثر من رائعة، بيت صغير بكل مستلزماته، وقارب جميل على الضفة.

عانقت منصف لشكره وهمست في أذنه "لن أنسى لك هذا، أخي" وبعد لحظة بكاء عدنا إلى لندن واقترحت عليه أن نفطر معا بعد مرورنا بالبنك لكي أقوم بتحويل المبلغ المالي الذي أردت منحه إياه: نصف المال الذي جنيته طوال حياتي.

طبعا رفض منصف كل هذا المبلغ لكنني قلت له أنه سيفهم كل شيء قريبا.

تناولت وإياه غداءنا ثم عاد إلى بيته للراحة، أما أنا فقد عدت إلى بيت والدي القديم، الذي بقي على حاله منذ رحيلي عنه، رغم خروجي من تلك المرحلة إلا أنني لم أستطع التخلي عن العش الذي ترعرعت بين جدرانها. لا أزال أشم رائحة الدفء العائلي عندما أمر بعتبة المنزل، سأنام هنا الليلة.

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

استيقظت بعد ساعات عديدة على طرق عنيف كاد يكسر الباب،
فتحت ذلك الباب ويا ليتني تظاهرت بالموت، لو أنني فكرت مرتين لكنت
تركته مغلقا، إليزابيث هنا.

- إذن كنت هنا كل هذا الوقت؟

لم أجد ما أقوله ولم أرد أن يرى الجيران ما يحدث فأفسحت لها
المجال للدخول فدخلت.. تبا، كم اشتقت لتلك الرائحة. كم اشتقت
لك أيتها الكذبة. واصلت حديثها

- آسفة لكنك لم تترك لي خيارا آخر، كان علي أن أراك.

- ماذا هناك؟

- هل أنت بخير؟

- وهل ذلك يهم؟

- طبعاً يهم.. لقد سمعت ويليام يتحدث مع بعض الأشخاص حول
تصفية حسابات معك، بسبب التعب الذي سببته لهم، أردت فقط
تحذيرك، لأنك كنت حقاً شخصاً مميزاً، أنت لا تستحق ما حدث..
وماذا بعد؟ فليأتوا لقتلي إن أرادوا، سيقدمون لي خدمة عظيمة.
- لا تتكلم هكذا أرجوك...

- هل هذا كل ما أردت إخباري به؟

- لقد اشتقت إليك.. ويليام وأنا انفصلنا مجدداً

- رائع.

- لقد تغيرت هاري، أنا امرأة أخرى الآن. تذكر كل ما قلته لك في الحانة.

- هل انتهيت؟

- بحقك!! استمع لي ولو للحظة، لقد كنت ثملا في آخر مرة كلمتك فيها
ولقد استمعت لي، فأرجوك حاول الاستماع لي.

- بل أنت من يجب أن يصغي إلي. لقد علقت كل آمالي بك إليزابيث،
وبتلك القضية، وفجأة اكتشفت أنك استعملتني لإفشال كل خططي
للاقتصاص منهم، لقتلهم أبي!! ثم أمي!!!! هل تدركين ماذا فعلتم بي؟!
لقد حطمت حياتي، كل حياتي بنيت على خدعة، سر، وانتقام. بسببك
وجدت نفسي تماما عكس ما أردت أن أكون، كرهت نفسي بسببكم.
لقد فات الأوان.

- آسفة..

- التأسف بعد فوات الأوان لا جدوى منه... أنت أسوأ أعضاء هذه
العصابة، أندرين لماذا؟ لأنك رأيت علاقتي بأمي، وعرفت بكل أسراري
وكنت أكثر شخص يعرفني ويعرف مكن قوتي ومكن ضعفي، لكنك
قمت باستغلالني للقضاء علي. لقد استعملت ضعفي ووهني وتلقي بك
لقتلي... أتركيني لوحدي الآن.

عدت إلى فراشي ونمت أنيا. كطفل متعب من شدة البكاء بعدما
فقد لعبته ولم يجدها. لا أعرف حتى إن كانت قد خرجت من البيت

محمد الصديق وردى ————— بعد فوات الأوان

أم إن بقيت بعد ذلك. غداً لن يبقى هناك شيء من هذا الهراء. كل شيء انتهى يا هاري، صبراً...

في اليوم الموالي استيقظت باكراً، إنه يوم الحسم، مررت بمنزل منصف لأضع رسالة له تحت باب منزله كتبت عليها.

"أخي منصف، قبل كل شيء أريدك أن تعرف أنني لم أحزن يوماً كحزني على فراقك اليوم، ستعود إلى وطنك بعد كل ما عشته هنا برفقتي أو بدوني، أراهن أنك اشتقت إلى موطنك. أنا أشتاق إلى موطني أيضاً، موطن روحي التي اتسخت بالحياة.

لقد وعدتك أنك ستفهم كل شيء قريباً، لقد آن الأوان لإطلاعك على الحقيقة، كلها.

لقد بعث منزلي وتعهدت أمام أمي قبل موتها أنني سأقتسم معك كل ما أملك بعدما اقتسمت معي متاعب حياتي، واستحملتني كل هذا الوقت، هناك أيضاً أجزع عملك الذي اعتبره تحفة. لقد منحني حياة جديدة، عرفتني على إلهك ذات ليلة، ذلك الحبل الذي وجدته في غرفتي كان فاصلة بين حياتي الأولى، والحياة التي بدأتها بينما أنت تقرأ رسالتي هذه، ستذهب إلى المطار بعد ساعات من الآن، آسف لعدم قدومي لتوديعك، ليس أناانية بل استحياء منك يا أكرم صديق، أعتذر مرة أخيرة عن كل خطأ اقترفته في حقك أخي. اعتني بنفسك وبالأشخاص من حولك، وداعاً.

المحامي هاري، محارب الجريمة.."

وضعت الرسالة ثم ذهبت إلى الغابة أين يوجد منزلي الجديد، أين
لا وجود لأشباح الماضي، ولا لهاري المحامي، فقط روح مكسورة حرة
في جسد، جسد سجين في عالم مظلم بألوان زاهية. برفقة كلب أوفى
من بني جلدتي جميعا.

هنا تبدأ الحياة.